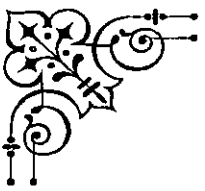

محمد وصحابته

السيرة النبوية بعيون شعرية

ثلاث قصائد وشرحها

من السيرة النبوية

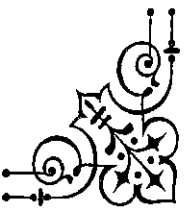

تأليف وإعداد

نادية كيلاني

اسم الكتاب: محمد وصاحباه

المؤلف: أ. نادية كيلاني

رقم الطبعة: الأولى

تاريخ الإصدار: ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م

جميع الحقوق محفوظة للناشر

رقم الإيداع: ٢٠١٨/٢٥٨٠٤

الترقيم الدولي: ٧-٤-٨٥٤٥٦-٩٧٧-٩٧٨

العنوان: القاهرة

الهواتف:

المبيعات: ٠٠٢٠١١١٠١١٧٤٤٧

الإدارة: ٠٠٢٠١٠٠٦٣٣٠١٢٩

الموقع: info@mobdeuon.com

البريد: www.mobdeuon.com

الإهـــداء...

إلى سيدي رسول الله ﷺ

راجية من الله أن يشفع لي

وأكون في صحبته والصحابة أجمعين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

مُقَدِّمَة

دعاء في أذكار الصباح مأثور عن النبي ﷺ أقوله بقلبي وأستشعر صدقه:

اللهم إني أسألك علمًا نافعًا، ورزقًا طيبًا، وعملًا متقبلًا.

وهذا الدعاء المبارك الذي كان ﷺ يستفتح صلاة الصبح به كل يوم؛ لأن الصبح هو بداية اليوم، ومفتتحه والمسلم ليس له مطمع في يومه إلا تحصيل الأهداف النبيلة، والمقاصد العظيمة، عند تحديد همته في أول النهار، وهي:

«العلم النافع، والرزق الطيب، والعمل المتقبل».

ففيه استعانة وتضرّع لربه في صباحه، وأول يومه أن يمدَّ له العون، والخير، والتوفيق للسير علىٰ هذه النية التي عليها الفلاح في الدنيا والآخرة.

فالبداية بسؤال الله العلم النافع، قبل سؤاله الرزق الطيب، وقبل سؤاله العمل المتقبَّل، وفي هذا إشارة إلىٰ أن العلم النافع مقدم به، ولأنه لا يمكن أن يكون العمل صحيحا وموافقا للكتاب والسنة دون علم، وفي البدء بالعلم النافع حكمةٌ ظاهرة، وهي أن بالعلم النافع يستطيع المرء أن يميز بين العمل الصالح وغير الصالح، ويستطيع أن يميّز بين الرزق الطيّب وغير الطيّب.

فقوله: (**علمًا نافعًا**): دلالةٌ علىٰ أن العلم نوعان: نافع وغير نافع.. وفي الحديث:

«سَلُوا اللهَ عِلْمًا نافِعًا، وَتَعوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ».

والعلم النافع هو ما باشر القلب، فأوجب له السكينة والخشوع، لله تعالىٰ، وإذا لم يباشر القلوب فليس ذلك من العلم، وإنما كان علىٰ اللسان فهو حجة علىٰ الإنسان.

وقوله: (**ورزقًا طيبًا**) فيه إشارة كذلك إلىٰ أن الرزق نوعان: طيب، وخبيث.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾.

فإن من أعظم الأسباب الموجبة لإجابة الدعاء طيب المأكل.

ثم قوله: (وعملًا متقبلًا) فيه إشارة إلىٰ أنه ليس كل عمل يتقرب به العبد إلىٰ الله مقبولًا عنده، بل المتقبَّل من العمل هو الصالح فقط، والخالص لله فقط، وعلىٰ هدي النبي ﷺ فقط.

ولما كنت أتلو هذا الدعاء موقنة به، أوقن الآن أن الله قد استجاب لدعائي، ومنحني هذه القصيدة التي أرىٰ فيها علمًا نافعًا، ورزقًا طيبًا، وأرجو الله أن يجعلها عملًا متقبلًا.

عنوان القصيدة جاء عفوًا، فلم أقدح زِنَاد فكري لكي آتي باسم دال كاسم البردة مثلا، ولكن لما كتبت البيت:

صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا لِكَمَالِهِ ... أَنْ بَدَّلَ الإِظْلَامَ نُورًا مُبْهِرَا

شعرت أنه العنوان الدال علىٰ كماله ومحوه للظلام والإظلام؛ فكان يجب أن نصلي عليه ونسلم.

وفي البداية كنت أفكر ما الشيء الذي لم يكتب فيه ﷺ شعرًا؟ وإن كتب نثرًا، فكان وصف صورته كما وصفه غير واحد من الصحابة، وعلىٰ رأسهم أم معبد الخزاعية..

فقرأت سيرته ﷺ وأهم القصائد التي كُتِبَت عنه قبل وبعد كتابة القصيدة؛ لأتأكد من صدق إحساسي؛ كبردة كعب ابن زهير التي مطلعها:

بَانَتْ سُعادُ فَقَلْبي اليَوْمَ مَتْبولُ ... مُتَيَّمٌ إثْرَها لم يُفْدَ مَكْبولُ

وبردة محمد بن سعيد البوصيري ومطلعها:

أمِنْ تذكر جيرانٍ بذي سلمٍ ... مزجْتَ دمعا جَرَىٰ من مقلةٍ بدمِ

ونهج بردة أحمد شوقي:

ريم على القاع بين البان والعلم أحل سفك دمي في الأشهر الحرم

ثم قصيدته الرائعة:

وُلِدَ الهُدى فَالكائِناتُ ضِياءُ وَفَمُ الزَمانِ تَبَسُّمٌ وَثَناءُ

وكذلك قصيدة الشاعر الفذ تميم البرغوثي والتي تقع في مائتي بيت.. واسمها البردة أيضًا ومطلعها:

ما ليْ أَحِنُّ لِمَنْ لَمْ أَلْقَهُمْ أَبَدَا وَيَمْلِكُونَ عَلَيَّ الرُّوحَ والجَسَدَا

ويختمها بقوله:

وَهَذِهِ بُرْدَةٌ أُخْرَى قَدِ اخْتُتِمَتْ أَبْيَاتُهَا مِائَتَانِ اسْتُكْمِلَتْ عَدَدَا

يَارَبِّ وَاجْعَلْ مِنَ الخَتْمِ البِدَايَةَ وَانْصُرْنَا وَهَيِّءْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدَا

ونأتي للشاعرة المتصوفة عائشة بنت يوسف الباعونية وقصيدتها (الفتح المبين في مدح الأمين) ومطلعها:

في حُسن مَطلَعِ أَقمار بِذي سَلَم أَصبَحتُ في زُمرَةِ العُشّاق كَالعَلَمِ

أما معارج الأنوار في سيرة النبي المختار للشَّيخ أبي زكريا يحيىٰ بن يوسف الصَّرصري (ت ٦٥٦هـ) ومطلعها:

سُبحانَ ذي الجَبروتِ وَالبُرهان وَالعِزِّ وَالمَلكوتِ وَالسُلطانِ

والتي تقع في ثمانمائةٍ وأربعةٍ وثلاثين بيتًا وبها نذر يسير متفرق لأوصافه ﷺ وغيرهم بحثًا عن الشيء الذي خطر ببالي فلم أجد..

ألم أقل إنه رزق طيب؟!

ثم مَنَّ الله عليَّ من فضله بقصيدتين لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ليضافا لقصيدة سيد الخلق فيكون عنوان الكتاب الذي بين أيديكم (**محمد وصاحباه**).

لما فكرت في تسجيل الأحداث وكتابة القصص التي يشير إليها البيت ليكون لي شرف سرد سيرة النبي ﷺ من خلال قصائدي، أشار علي الأستاذ الشاعر/ يُوسُف أَبُو الْقَاسِم الشَّرِيف بإضافة جملة (**السيرةُ النبويةُ بعيونٍ شعرية**).

نادية كيلاني

القصيدة الأولى

صلوا عليه وسلموا[1]

المـــــطلع

١- قَلَمِـــي تَوَضَّـــأَ بِـــالْعُطُورِ تَطَهَّـــرَا وَصْـفَ الحَبِيـب المُصْـطَفَىٰ قَـدْ سَـطَّرَا

٢- فَاحْتَـــارَ بَـــيْنَ صِـــفَاتِهِ أَوْ سَـــمْتِهِ فَتَعَثَّـــرَ الخَطْـــوُ الجَـــرِيءُ وَمَـــا دَرَىٰ

(١) أَبُو القَاسِم مُحَمَّد بنِ عَبد الله بنِ عَبدِ المُطَّلِب (٢٢ أبريل ٥٧١ - ٨ يونيو ٦٣٢) رسول الله إلىٰ الإنس والجن؛ ليعيدهم إلىٰ توحيد الله وعبادته شأنه شأن كل الأنبياء والمُرسَلين، وهو خاتمهم، أُرسِل للنَّاس كافَّة، وهو أشرف المخلوقات وسيّد البشر، له العِصمة، يُلحق اسمه عبارة «ﷺ» مع إضافة «وآله» و«وصحبه» في بعض الأحيان، لِمَا جاء في القرآن والسنة النبوية مما يحثهم علىٰ الصلاة عليه. ترك محمد أثرًا كبيرًا في نفوس المسلمين، وكثرت مظاهر محبّتهم وتعظيمهم له باتباعهم لأمره وأسلوب حياته، وتعبده لله، واحتفالهم بمولده في شهر ربيع الأول، وقيامهم بحفظ أقواله وأفعاله وصفاته وجمع ذلك في كتب عُرفت بكتب السّيرة والحديث النبوي. اعتبره الكاتب اليهودي مايكل هارت أعظم الشخصيّات أثرًا في تاريخ الإنسانية كلّها باعتباره: «**الإنسان الوحيد في التاريخ الأكثر أتباعًا، والذي نجح نجاحًا مطلقًا علىٰ المستوىٰ الديني والدنيوي**». وُلد ﷺ في مكة، في شهر ربيع الأول من عام الفيل، قبل ثلاث وخمسين سنة من الهجرة (**هجرته من مكة إلىٰ المدينة**)، ما يوافق سنة (٥٧٠ أو ٥٧١ ميلاديـًا و٥٢ ق هـ). ولد يتيم الأب، وفقد أمه في سنّ مبكرة فتربىٰ في كنف جده عبد المطلب، ثم من بعده عمه أبي طالب، وكان في تلك الفترة يعمل بالرعي ثم بالتجارة. تزوج في سنّ الخامسة والعشرين من خديجة بنت خويلد، وأنجب منها كل أولاده باستثناء إبراهيم.

كان ﷺ قبل الإسلام يرفض عبادة الأوثان والممارسات الوثنية التي كانت منتشرة في مكة. كُلِّف بالرسالة وهو ذو أربعين سنة، أُمِر بالدعوة سرًا لثلاث سنوات، قضىٰ بعدهنّ عشر سنوات أُخَر في مكة مجاهرًا بدعوة أهلها، وكل من يرد إليها من التجار والحجيج وغيرهم. هاجر إلىٰ المدينة المنورة والمسماة يثرب آنذاك عام ٦٢٢م ، وهو في الثالثة والخمسين من عمره، بعد أن تآمر عليه سادات قريش ممن عارضوا دعوته، وسعوا إلىٰ قتله، فعاش فيها عشر سنين أُخر داعيًا إلىٰ الإسلام، وأسس بها نواة الحضارة الإسلامية، التي توسعت لاحقًا وشملت مكة ،وكل المدن، والقبائل العربية، حيث وحَّد العرب لأول مرة علىٰ ديانة توحيدية ودولة موحدة، ودعا لنبذ العنصرية والعصبية القبلية.

٣- سَـجِّلْ صِـفَاتٍ بالمـدَادِ وخُطَّهَـا ... سَـيَجِفُّ رِيقُـكَ قَبْـلَ أَنْ تَصِـلَ الـذُّرَا

٤- وَامْدَحْ أَصِيلًا فِي الخِصَـالِ لَهُ الـدُّنَا ... دَانَـتْ، وَلَـمْ يَغْتَـرَّ بَـلْ عَـافَ الْكَـرَىٰ

٥- مَـنْ يَفْعَـلِ الْمَعْـرُوفَ يَحْصُـدْ خَيْـرَهُ ... والشَّـرُّ مِفْتَـاحُ الشُّـرُورِ لِمَـنْ يَـرَىٰ

٦- بُلِّغْـتَ بِـالأَمْرِ الجَلِيـلِ فَصُـنْتَهُ ... مُـتَحَمِّلًا سَـفَهَ السَّـفِيهِ لَـكَ انْبَـرَىٰ

٧- أَغْـرَىٰ بِنُبْـلِ خِصَـالِهِ حَمْقَـىٰ القُلُـو ... ـبِ يُكَـذِّبُونَ سَـفَاهَةً وَتَجَبُّـرَا

٨- مَـاذَا تَقُـولُ؟! وَقَـدْ تَـأَدَّبَ مِـنْ كَرِيـ ... ـمٍ شَـاءَهُ وَعَلَـىٰ الْمَحَاسِـنِ صُـوِّرَا

٩- يَـا سَـيِّدِي مَـا اسْـتَوْعَبَتْكَ قُلُـوبُهُمْ ... لَكِـنَّهُمْ أَوْلَـوْكَ حُبًّـا مُبْهِـرَا

هذا تمهيد لا بد منه درجت عليه المدائح النبوية تحفيزًا ولفت انتباه لما سيقال في حقه ﷺ.

وبالطبع مهما يقال لا يمكن أن تدرك صفاته حتىٰ لو توضأ القلم بالعطر مجازًا؛ فعطرُ محمدٍ ﷺ يفوق أي عطر، وحتىٰ لو امتلأ القلم بالمداد سيجف الحبر ويتعثر القلم قبل أن يصل لمنتهىٰ أمره، ولن نوفيه قدره.

فهو النبي الذي اختصه الله بالأمر الجلل العظيم الصعب؛ فتحمل في سبيله من العناء ما تحمل، وصبر عليه ما شاء له أن يصبر، ولم يتحمَّلْ هذا العبء فقط، بل تحمَّل كل سفيه استهان بالأمر، ومن تطاول عليه ومن اتهمه بأنه شاعر أو مجنون، ومن تجرَّأ عليه من السفهاء ووقف في وجهه ووجه دعوته متحديًا، وسبب سفاهة السفهاء وحماقة الحمقىٰ مع النبيِّ ﷺ هو نُبل خصاله؛ مما يشجع الخصم أن يُمعن في الخصومة؛ ويُظهر العداوة، انتصارًا لمنطقه المغلوط.

وهو النبي الذي لم تستوعبه قلوبُهم لتصفه رغم اختلاف قدراتهم؛ فكان أيُّ وصف له يُعَدُّ نورًا باهرًا قويًّا يخطف أبصار من رأىٰ وخبُر، ومن سمع وتمعَّن، لكنه قاصرٌ عن إدراك الغاية؛ لأنه ﷺ علىٰ درجة عالية من الكمال والجلال والبهاء.

وهو النبي الذي رفض امتلاك المال والسلطان؛ فقد دانت له الدنيا، وأصبحت تحت قدَمَيْهِ، لكنه رفضها بل ترك الراحة وعاف النوم في سبيل تنفيذ ما أمره الله به، وتبليغ رسالته علىٰ أكمل وجهٍ.

وهو النبي الذي ربَّاه ربُّه وأدَّبه فأحسن تأديبه، وشاءه كما يريد ﷻ، فقال ﷺ: «**أدبني ربي فأحسن تأديبي**»؛ ومن أدَّبه ربه حاز كلَّ المحاسن.

ولا أبلغَ ممَّا وصفه به القرآن الكريم به: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم:٤].

وصف صورته
كما وصفته أم معبد

١٠- ذِي أُمُّ مَعْبَدَ إِذْ حَكَتْ عَنْ عَابِرٍ ... وَصَـــفَتْهُ وَصْفًا بَالِغًا وَمُبَشِّـرَا

١١- قَدْ كَانَ يَحْلُبُ شَاتَهَا كَانَتْ تُرَا ... وِحُ فِعْلَـــهُ بِصِفَاتِهِ كَيْ تَحْصُرَا

١٢- لمَّا تَشَبَّعَ ذِهْنُهَـــا فَاضَ اللِّسَا ... نُ فَعَـــدَّدَ الأَوْصَافَ فِيهِ وَأَبْحَرَا

١٣- هُوَ أَكْحَلُ العَيْنَيْنِ فِي أَشْفَارِهِ ... وَطَفٌ وَسِـــيمٌ أَبْلَجٌ مَا أَنْضَرَا

١٤- لا بِالبَـــدِينِ ولا الطويـــل ولا ولا ... وَمُبَجَّلٌ وَبِصَـــوْتِهِ صَحَلٌ سَرَىٰ

١٥- العَيْنُ دَعْجَا حَاجِبَاهُ مُقَوَّسَا ... نِ وَحُسْنُ طَلْعَتِهِ كَبَـــدْرٍ أَسْفَرَا

١٦- الوَجْهُ صُـــبْحٌ حَفَّهُ لَيْلٌ كَثِيـ ... ـفٌ زَانَـــهُ، أَغْرَىٰ الْعُيُونَ لِتَنْظُرَا

١٧- فِي صَـمْتِهِ يَبْدُو الْوَقَارُ، وَقَوْلُـهُ ... حُسْـنُ الْبَيَـانِ، وَفَصْـلُ مَنْطِقِـهِ جَـرَىٰ

١٨- وَصِـحَابُهُ مِـنْ حَوْلِـهِ مِثْـلُ النُّجُـو ... مِ، يُتَـابِعُونَ بِلَهْفَـةٍ كَـيْ يَـؤْمُرَا؟

القصة: يُروىٰ أن الرسول ﷺ وأبا بكر رضي الله عنه ودليلَهما، خرجوا من مكة مهاجرين إلىٰ المدينة، وفي طريقهم مَرُّوا علىٰ خيمةِ امرأة عجوز تُسمَّىٰ (أم مَعْبد) كانت تجلس قرب الخيمة تسقي وتُطعِم، فسألوها لحمًا وتمرًا ليشتروا منها، فلم يجدوا عندها شيئًا.

نظر رسول الله ﷺ إلىٰ شاة في جانب الخيمة، وكان قد نَفِدَ زادهم وجاعوا فسألها:

ما هذه الشاة؟!

فأجابت:

شاة خلَّفها الجهد والضعف عن الغنم.

قال ﷺ:

«هل بها من لبن؟».

ردَّت أم معبد:

إن رأيتَ بها حلبًا فاحلبها!

فدعا النبيُّ الشاة، ومسح بيده ضرعها، وسمَّىٰ الله -جلَّ ثناؤه- ثم دعا لأم معبد في شاتها حتىٰ فتحت الشاة رِجليها، ودَرَّت، فدعا بإناء كبير، فحلب فيه حتىٰ امتلأ، ثم سقىٰ المرأة أولا حتىٰ رويت، وسقىٰ أصحابه حتىٰ شبعوا، ثم شرب آخرهم، ثم حلبَ في الإناء مرة ثانية حتىٰ ملأ الإناء، وتركه عندها وارتحلوا عنها، وبعد قليل أتىٰ زوج المرأة (أبو معبد) يسوق أعنُزًا يتمايلن من الضعف، فرأىٰ اللبن!

قال لزوجته:

من أين لكِ هذا اللبن يا أم معبد؟ والشاة عازب ولا حلوب في البيت؟!

أجابته:

إنه مَرَّ بنا رجل مُبارَك من حالِه كذا وكذا..

فقال أبو معبد:

صِفيه لي.

أم معبد تَصِفُ رسول الله ﷺ:

قالت: رأيت رجلا ظاهر الوضاءة، أبلَجَ الوجهِ (أي: مُشرِقَ الوجه)، لم تُعِبه نُحلَة (أي: نُحول الجسم) ولم تُزْرِ به صُقلَة (ليس بِناحِلٍ ولا سمين)، وسيمٌ قسيم (أي: حسن وضيء)، في عينيه دَعَج (أي: سواد)، وفي أشفاره وَطَف (طويل شعر العين)، وفي صوته صحَل (بحَّة وحُسن)، وفي عنقه سَطع (طول)، وفي لحيته كثاثة (كثرة شعر)، أزَجُّ أقرَن (حاجباه طويلان ومقوَّسان ومُتَّصِلان)، إن صَمَتَ فعليه

الوقار، وإن تَكلم سما وعلاهُ البهاء، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأجلاهم وأحسنهم من قريب، حلوُ المنطق، فصل لا تذْر ولا هذَر (كلامه بَيِّن وسط ليس بالقليل ولا بالكثير) كأنَّ منطقه خرزات نظم يتحَدَّرن، رَبعة (ليس بالطويل البائن ولا بالقصير)، لا يأس من طول، ولا تقتَحِمُه عين من قِصر.

وتواصِل وَصْفَها له ﷺ صامتًا ومتكلِّمًا، فتقول:

إذا صَمَتَ لاحظتَ عليه الوقار، وإذا تكلَّم زاد حسنُه مع كلامه الجزل الذي ليس به زيادة ولا نقصان، فلا تسمع إلا كلامًا فَصْلا له مَنطِقٌ.

كلامه بَيِّن، فَصْل، ظاهر يحفظه من جَلَس إليه، لو عَدَّه العادُّ لأحصاه، يعيد الكلمة ثلاثًا لِتُعقَل عنه، يُعرِض عن كل كلام قبيح ويُكَنِّي عن الأمور المُستَقبَحَة في العُرف إذا اضطرَّه الكلام إلىٰ ذكرها، ويذكر الله تعالىٰ بين الخطوتين.

ثم تصف حالته بين أصحابه:

غُصن بين غصنين، فهو أنضَرُ الثلاثة منظرًا، وأحسنهم قَدرًا، له رُفَقاء يَحُفون به، إن قال أنصَتوا لقوله، وإن أمَرَ تبادروا لأمره، محشود محفود (أي: عنده جماعة من أصحابه يطيعونه) لا عابس ولا مُفَنَّد (غير عابس الوجه، وكلامه خالٍ من الخُرافة)

قال أبو معبد: هو والله صاحب قريش الذي ذُكِرَ لنا من أمره ما ذُكِر بمكة، ولقد هممتُ أن أصحبه، ولأفعلَنَّ إن وَجدتُ إلىٰ ذلك سبيلا.

تابع وصف صورته
كما وصفه آخرون

١٩- فَتَجَاذَبُوا أَخْبَارَهُ وَتَسَابَقُوا ... مَن يَجْنِهَا دُرًّا يُعَانِقْ جَوْهَرَا

٢٠- مَا مِثْلُهُ بَيْنَ البَرِيَّةِ سِيرَةً ... أَوْ صُورَةً سُبْحَانَهُ مَنْ قَدْ بَرَىٰ

٢١- هَذَا ابْنُ عَازِبَ وَصْفُهُ لَمَّا تَجَمْ ... ـعَ حُبُّهُ فِي قَلْبِهِ واسْتَشْعَرَا

٢٢- يَبْدُو بَعِيدَ المَنْكِبَيْنِ مَعَ اعْتِدَا ... لٍ طَابَ جَوْهَرُهُ وَأَحْسَنَ مَخْبَرَا

٢٣- فِي اللَّوْنِ أَزْهَرُهُ كما أَنَسٌ شَدَا ... والخَدُّ أَسْيَلُهُ كَبَدْرٍ أَقْمَرَا

٢٤- هُوَ رَبْعَةٌ حَسَنٌ، وَجِيدٌ فِضَّةٌ ... وَتَرَاهُ وَضَّاءَ الجَبِينِ وَنَيِّرَا

٢٥- سَعَةُ الجَبِينِ قَدِ اسْتَوَتْ بِهِمَا خِصَا ... لُ رُقِيِّهِ كَيْمَا يَكُونَ مُحَرَّرَا

٢٦- يَا جَبْهَةً يَتَسَابَقُونَ لِجَمْعِ لُؤْ ... لُئِهَا النَّدِيِّ وَمَنْ أَرَادَ تَعَطُّرَا

وغير أم معبد كثيرون تسابقوا في جمع أوصافه ﷺ.

قال عنه البراء بن عازب: كان النبي أحسنَ الناسِ وَجْهًا، وأحسنَهم خَلقًا، أخرجه (البخاريُّ ومسلم).

كان ﷺ أشعرَ المَنكبين؛ أي: عليهما شعر كثيرٌ، واسع ما بينهما، والمَنكِب هو مَجمع العَضُد والكَتِف، والمراد بكونه بعيد ما بين المنكبين، أنه عريض أعلىٰ الظهر، ويَلزمه أنه عريض الصدر، مع الإشارة إلىٰ أن بُعد ما بين مَنكبيه لم يكن منافيًا للاعتدال، وكانتْ كَتفاه عريضتين عظيمتين.

وعن أنس رضي الله عنه أنه قال: كان رسول الله ﷺ أزهرَ لون الجسم، ليس بالأَدهم ولا بالأبيض الأَمْهَق، يتلألأ نورًا.

وكان -عليه الصلاة والسلام- أَسِيلَ الوجه، ليس مسنونَ الخدَّين، ولا مستديرًا غايةَ التدوير، بل كان بين الاستدارة والإسالة، وهو أجمل عند كل ذي ذوقٍ سليم،

وكان وجهه مثل الشمس والقمر في الإشراق والصفاء، وكان ﷺ صَليبَ الخدَّين، فعن عمار بن ياسر رضي الله عنه أنه قال: كان رسول الله ﷺ يُسلم عن يمينه وعن يساره، حتىٰ يُرىٰ بياضُ خدِّه، (أخرجه ابن ماجه).

ويُصدِّقُ قولَه قولَ عباس محمود العقاد في كتابه (الصديقة بنت الصديق) عن عائشة رضي الله عنها: وهي ترىٰ النبي عليه السلام يتندىٰ عرقًا في يوم قائظ وقد جلس يصلح نعله قالت: لو رآك عروة لكنت المعني بقوله:

فلو سمِعوا في مصرَ أوصافَ خدِّه ... لَمَا بَذَلُوا في سَوْمِ يُوسُفَ مِنْ نَقْدِ
وصَحْبُ زُلَيْخَا لَوْ رأَيْنَ جَبِينَه ... لآثَرْنَ بالقَطْعِ القُلُوبَ علىٰ الأَيْدِي

عن عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كأنَّ عُنق رسول الله ﷺ إبريقُ فضةٍ.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان أحسن عباد الله عُنقًا، لا يُنسَب إلىٰ الطول ولا إلىٰ القِصَر، ما ظهَر مِن عُنقه للشمس والرياح، فكأنه إبريقُ فضةٍ مُشربٌ ذهبًا، يَتلألأ في بياض الفضة وحُمرة الذهب، وما غُيِّب في الثياب مِن عُنقه فما تحتها، فكأنه القمر ليلة البدر.

قيل: إنه ﷺ لَمَّا كان أول مرة سدَل ناصيته بين عينيه كما تُسدَل نواصي الخيل، جاءه جبريل عليه السلام بالفَرْق ففرَق.. ولم يكن في رأس النبي ﷺ شَيبٌ إلا شُعيراتٌ في مَفرِق رأسه.

أخبر ابن سعيد أنه ما كان في لِحية النبي ورأسه إلا سبعَ عشْرةَ شعرةً بيضاءَ، وفي بعض الأحاديث ما يفيد أن شيبَه لا يزيد علىٰ عشْر شَعَرات، وكان ﷺ إذا ادَّهَنَ وارَاهُنَّ الدُّهنُ؛ أي: أخفاهنَّ، وكان يدَّهِن بالطيب والحِنَّاء.

عن أنس رضي الله عنه قال: دخل علينا رسول الله ﷺ فَقَالَ عندنا -أي: نام القيلولة- فعَرِقَ وجاءت أمي بقارورة، فجعلتْ تَسْلُتُ العَرَق، فاستيقظ النبي ﷺ فقال: «**يا أُمَّ سُلَيم، ما هذا الذي تصنعين؟!**» قالت: هذا عَرَقُك نَجعله في طِيبنا، وهو أطيَبُ الطِّيب.

وفيه دليل علىٰ: أن الصحابة كانوا يتبرَّكون بآثار النبي ﷺ وقد أقرَّ الرسول أُمَّ سُليم علىٰ ذلك.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان ﷺ أَسِيلَ الجَبين، و(الأَسِيل: هو المستوي).

وصَفه ابن أبي خيثمة فقال: كان أَجلىٰ الجبين، إذا طلع جبينه بين الشَّعر، أو طلع مِن فَلْق الشَّعر، أو عند الليل، أو طلَع بوجهه علىٰ الناس تراءَىٰ جبينُه كأنه السِّراج المُتوقِّد يَتلألأ.

تابع وصف صورته

٢٧- هُوَ وَاسِعُ العَيْنَيْنِ أَشْكَلُ؛ حُمْرَةٌ ... تَعْلُو الْبَيَاضَ عَلَامَةٌ، سَلْ مَيْسَرَا

٢٨- أَنَفٌ يَقُومُ عَلَىٰ الهُدَىٰ مَعَ دِقَّةٍ ... شِيَمُ الْكِرَامِ بِأَنْفِهِ مُتَصَدِّرَا

٢٩- وَمُفَلَّجُ الأَسْنَانِ أَشْنَبُ ثَغْرُهُ ... مُتَلأْلِئٌ ذَاكَ ابْنُ هَالَةَ قَرَّرَا

٣٠- وَفَمٌ ضَلِيعٌ رِيقُهُ فِيهِ الشِّفَا ... دَاوَىٰ بِهِ رَمَدَ العَلِيِّ فَأَبْصَرَا

٣١- تَحْتَ الشِّفَاهِ وَذَقْنِهِ شَعَرَاتُ بِيـ ... ـضٍ واسْمُهَا صَعْبٌ عَلَىٰ مَنْ عَبَّرَا

٣٢- أَتَقُلْنَ عَنْفَقَةٌ لَهُ؟! يَا سَائِلِي ... هِيَ مَا ذَكَرْنَا آنِفًا كَي تَعْذِرَا

وعن عائشة رضي الله عنها قالت:

كانت عيناه ﷺ نَجْلاوينِ، أَدْعجهما، والعين النَّجلاء هي الواسعة الحسنة.

وكان عليه الصلاة والسلام مُشرَبَ العينين حُمرةً.

وقوله: (مُشرب العين حُمرةً): هي عروق حُمْر رِقاق، وهي مِن علامات نبوَّته ﷺ التي في الكتب السالفة.

كان -عليه الصلاة والسلام- أَشْكَلَ العينين.

قال القسطلاني في «المواهب»: الشُّكلة بضم الشين هي الحُمرة تكون في بياض العين، وهو محبوب محمود.

قال الزرقاني: قال الحافظ العراقي: هي إحدىٰ علامات نبوَّته ﷺ، فلما سافر مع ميسرة إلىٰ الشام، سأل عنه الراهب، وقال: أفي عينيه حُمرة؟

فقال مَيسرة: ما تُفارقه.

قال الراهب: إذًا هو؛ (شرح المواهب).

وقال هند بن أبي هالة رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ مُفلَّج الأسنان أشنبَ.

والأشنبُ: أبيض الأسنان.

ومُفلَّج؛ أي: متفرِّق الأسنان، بعيد ما بين الثنايا والرَّبَاعيات، والثنايا جمع ثَنيَّة بالتشديد، وهي الأسنان الأربعة التي في مُقدَّم الفم، ثنتانِ من فوقُ، وثنتان من تحتُ، والفَلَج: هو تباعدٌ بين الأسنان.

إذا تكلَّم رُئِيَ كالنور يخرج من بين ثناياه، والنور المرئيُّ يحتمَل أن يكون حسيًّا، ويحتمل أن يكون معنويًّا.

وعن جابر بن سمرة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ ضليعَ الفم -أي: واسع الفم- جميلَه، وكان مِن أحسن عباد الله شفتينِ، وألطفهم خَتْمَ فَمٍ.

وقد أعطىٰ الله تعالىٰ رسوله خصائصَ كثيرة لريقه الشريف، ومِن ذلك أن ريقه ﷺ فيه شفاء للعليل، وغذاءٌ وقوة وبركة، فكم داوَىٰ بريقه الشريف مِن مريضٍ فبَرِئَ لساعته!

وحدَث أن داوىٰ به عينَيْ علي بن أبي طالب، فشُفِي من الرمد.

جاء في الصحيحين عن سهل بن سعد ﷺ قال: قال ﷺ يوم خيبر: «**لأُعطِيَنَّ الراية غدًا رجلًا يفتح الله علىٰ يديه، يحب الله ورسوله، ويُحبُّه الله ورسوله**»، فلما أصبح الناس غَدَوْا علىٰ رسول الله وكلُّهم يرجو أن يُعطاها.

فقال ﷺ: «**أين علي بن أبي طالب؟**».

فقالوا: يشتكي عينيه.

قال: «**فأرسِلوا إليه**».

قال سَلَمة: فأرسَلني رسول الله ﷺ إلىٰ علي، فجئت به أُقودُه أرمدَ، فتفَل رسول الله في عينيه، فبرِئ كأنه لم يكن به وجعٌ.

تابع وصف صورته

٣٣- رَأْسٌ كَبِيـرٌ مَوْجَـةٌ فِي شَـعْرِهِ ... وَمُرَجَّـلٌ بِالْجَـانِبَيْنِ تَطَيَّـرَا

٣٤- أَمَّا يَدَاهُ فَحِينَ تَنْشُدُ لَمْسَهَا ... تَلْقَىٰ لَهَا رِيحًا جَمِيلًا مُعْطِرَا

٣٥- حَالُ الأَصَابِعِ وَالْمَفَاصِلِ قُوَّةٌ ... مَا شَابَهَا ضَعْفٌ يَجِيءُ تَعَثُّرَا

٣٦- وَالزَّنْدُ مُمْتَدٌّ وَسَبْطُ السَّاعِدَيْـ ... ـنِ تَنَاسُبُ الأَعْضَاءِ فِيهِ وَمُشْعِرَا

٣٧- عَجَبٌ بِرِجْلَيْهِ المَسِيحُ بِسَاطُهَا ... فَتَرَاهُ إِذْ يَمْشِي بِهَا مُتَحَدِّرَا

كان ﷺ حسنَ اللِّحيَة، أسودَها، وكثَّ اللحية، بمقدار قبضة اليد، يُحسِّنُها ويُطيِّبُها (أي: يضع عليها الطيب).

وكان ﷺ يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته، ويُكثر القناع حتىٰ لكأنَّ ثوبه ثوب زيات.

وكان من هَدْيِه -عليه الصلاة والسلام- حفُّ الشارب وإعفاء اللِّحية.

كان ﷺ له شعر فيه بياض ينزل مِن أسفل شَفته السفلىٰ حتىٰ ذَقنه الشريف تسمىٰ (عَنْفَقة).

وكان ﷺ شَثْنَ الكفَّين والقدمين.. والشَّثْن: الغليظ الخَشِن، وكان ﷺ غليظ الأصابع والراحة، ومع ذلك بكفيه نعومة وبلَمْسها تجد لها بردًا وريحًا جميلًا يُعطر مكان لَمْسها.

عن علي بن أبي طالب قال: لم يكن النبي ﷺ بالطويل ولا بالقصير، شَثْنَ الكفين والقدمين؛ أي: إنه ﷺ كان غليظ أصابع الكفين والقدمين، ولكن في اعتدال، طويل الأصابع، ممتدَّ اليدين؛ (رواه الترمذي).

وكان ﷺ إذا صافحه الرجل وجد ريحَه؛ أي: تبقىٰ رائحة النبي عليه الصلاة والسلام علىٰ يد الرجل الذي صافحه، وإذا وضع يده علىٰ رأس صبي، يظل يومَه

يُعرَف من بين الصِّبيان بريحه ﷺ علىٰ رأسه.

وبالجمع بين الروايات يتَّضح لنا: أن النبي ﷺ عندما كان يعمل بيده -سواء في مِهْنة أهله أو في الحروب- كانت يدُه تَخشوشن، وفي غير ذلك تعود ناعمة.

قال هند بن أبي هالة رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ سائل الأطراف؛ أي: إن الأصابع طوال وليست بمنعقدة. وكان عليه الصلاة والسلام طويل الزَّندين؛ أي: الذراعين، سَبْط القَصَب -يُريد بالقَصَب ساعديه- وكان أشعرَ الصدر والذراعين.

وعن أنس رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ كان إذا مشىٰ تَكفَّأَ، ويَمشي الهُوَيْنَىٰ؛ أي: يُقارِب الخُطىٰ، ويَمشي برِفق وسكينة وتثبُّت ووقار، وحِلم وتواضُع، وكان في مِشيته يرفع رجليه بسرعة، ويمدُّ خُطوته، وكان يسير وكأنه ينحدِر من مكانٍ مرتفع.

قال هند بن أبي هالة رضي الله عنه: كان النبي ﷺ خُمصان الأخمَصين من القدم ما بين صدرها وعَقبها، وهو الذي لا يلتصق بالأرض من القدمين، يريد أن ذلك منه مرتفع.

مسيح القدمين: يريد أنهما ملساوان ليس في ظهورهما تكسُّر؛ لذا قال: ينبو عنهما الماء؛ يعني أنه لا ثبات للماء عليها.

وكان ﷺ أشبَهَ الناس بسيدنا إبراهيم عليه السلام، وكانت قدماه الشَّريفتان تُشبهان قدمَي سيدنا إبراهيم عليه السلام؛ كما هي آثارها في مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ما رأيتُ أحدًا أسرعَ مِن رسول الله ﷺ كأنَّما الأرض تُطوىٰ له، إنَّا لَنُجهِدُ أنفسَنا، وإنَّه غيرُ مُكترِثٍ.

دليل النبوة

٣٨- أَمَّا دَلَالَةُ صِدْقِهِ خَتْمُ النُّبُوْ ... وَةِ يَعْتَلِي كَتِفَ الذِّرَاعِ مُيَسَّرَا

٣٩- مِثْلُ الهِلَالِ وَحَجْمُ بَيْضِ حَمَامَةٍ ... أَلْوَانُهُ حَسَبَ الظُّهُورِ مُعَبِّرَا

٤٠- يَحْمَرُّ حِينًا ثُمَّ حِينًا أَسْوَدٌ ... وَبِلَوْنِ بَشْرَةِ جِسْمِهِ قَدْ أَزْهَرَا

٤١- هُوَ أَبْيَضُ الإِبطَيْنِ وافِرُ نُورِهَا ... وَدَلِيلُهُ عِنْدَ المُعَانِدِ أُنْكِرَا

خَتمُ النبوة موجود فوق كتفه ﷺ الأيسر، وقد عرَف سلمان الفارسي رسول الله ﷺ بهذا الختم.

قال أبو زيد رضي الله عنه: قال لي رسول الله ﷺ: «اقتربْ مني»، فاقتربتُ منه، فقال: «أَدخِل يدك فامسَح ظهري»، قال: فأدخلتُ يدي في قميصه، فمسحتُ ظهره، فوقع ختمُ النبوة بين أصبعي، قال: فسُئل عن ختم النبوة، فقال: شَعَرات بين كتفيه.

هذا الختم علىٰ شكل الهلال، وفي حجم بيض الحمام، وهو يتغيَّر لونُه حسب الحال التي عليها ﷺ؛ فأحيانًا يكون أسودَ اللون، وفي رواية أنه أخضر اللون، وفي رواية أنه كان أحمرَ، وفي رواية أخرىٰ أنه أزهر كلون جسمه.

والحقيقة أنه لا يوجد تدافع بين هذه الروايات؛ لأن لون الختم كان يتفاوت باختلاف الأوقات، فيكون تارة أحمرَ، وتارة كلون جسده، وهكذا بحسب الأوقات.

ومِن دلالة نبوته ﷺ أيضًا لمن ينكر ذلك عنادًا وكبرًا: بياضُ إبطيه، إذ إن الإبط من جميع الناس يكون عادة مُتَغَيِّر اللون.

قال عبدالله بن مالك رضي الله عنه: كان النبي ﷺ إذا سجد وفرَّج بين يديه -أي: باعَد- كنا نرىٰ بياض إبطيه.

اعتذار عن التقصير

٤٢- وَالْحُسْنُ فِيكَ وَلَا نَمَلُّ بِسَرْدِهِ ... فالْبَدْرُ مِـــن سِـحْرِ الْجَمَالِ تَمَعَّرَا

٤٣- وَالْعُذْرُ فِينَا لَمْ يَصِفْهُ كَبِيرُهُمْ ... مِنْ هَيْبَةٍ أَرْخَىٰ الْجُفُـــونَ مُوَقِّرَا

٤٤- أَعْيَا اللِّسَانَ وَعَقْلُهُ لَمْ يَسْتَطِعْ ... لَمَّـــا أَقَـــرَّ بِعَجْـــزِهِ فاسْـــتَغْفَرَا

٤٥- يـــا مَـــنْ وقَفْـــتَ بِبَابِـــهِ مُتَـــرَدِّدًا ... هـــلَّا اجْتَهَـــدْتَ فـــلا تَكُـــونُ مُقَصِّـــرَا

قال ﷺ: «ما رآني أحد منكم علىٰ هيئتي إلا فاطمة وأبو بكر».

قال أبو هريرة رضي الله عنه: حدقت مرة في وجه رسول الله فغطيت عيني من شدة النور.

قال أبو بكر رضي الله عنه: نظرت للبدر ولوجه رسول الله، والله ما أدري أي البدر من وجه رسول الله.. ولكنني علمت وجه رسول الله من نوره.

وعن صفاته الخُلقية

٤٦- ذَا وَصْفُهُ وَصْفًا تَرَاهُ مُفَرَّدًا ... أَمَّا الصِّفَاتُ فَرَبُّنَا مَنْ قَدَّرَا

٤٧- حَدِّثْ بِهِ وَبِكُلِّ خَيْرٍ يُرْتَجَىٰ ... أَنَّىٰ وَقَفْتَ بِبَابِهِ نِلْتَ القِرَىٰ

٤٨- وَهُوَ الشُّجَاعُ فَيَحْتَمُونَ بِظَهْرِهِ ... يَوْمَ الوَطِيسِ إِذَا حَمَىٰ وَتَغَبَّرَا

٤٩- وَالْعَدْلُ شِرْعَتُهُ فَكَمْ أَعْطَىٰ الْخُصُو ... مَ حُقُوقَهُمْ لَمْ يَثْنِهِ ظُلْمُ الوَرَىٰ

٥٠- وَالصَّبْرُ حِكْمَتُهُ فَلَمْ يَرْفَعْ عَصَا ... هُ وَلَمْ يَقُلْ مَاذَا فَعَلْتَ وَنَفَّرَا

عن موسىٰ بن أنسٍ عن أبيه، قال: ما سُئل رسول الله ﷺ شيئًا إلا أعطاه، قال: فجاءه رجلٌ فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلىٰ قومه، فقال: يا قوم، أسلِموا؛ فإن محمدًا يعطي عطاءً لا يَخشىٰ الفاقَةَ.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «**لو كان لي مثل أُحدٍ ذهبًا، ما يَسرُّني ألا يَمُرَّ عليَّ ثلاثٌ وعندي منه شيءٌ، إلا شيء أُرصِدُه لدَينٍ**».

وأَهدتِ امرأة إلىٰ النبيِّ -عليه الصلاة والسلام- شَملةً منسوجة، فقالت: يا رسول الله، أكسوك هذه، فأخذها النَّبيُّ محتاجًا إليها، فلبسها، فرآها عليه رجل مِن الصحابة، فقال: يا رسول الله، ما أحسن هذه! فاكْسُنِيها، فقال: «**نعم**»، فلما قام النبيُّ لامَه أصحابُه، فقالوا: ما أحسنتَ حين رأيت النبيَّ أخذها محتاجًا، فقال: رجوتُ بركتَها حين لبسها النبيُّ لعلِّي أُكفَّن فيها.

فما أعظمَ جُودَه! وما هذه الصفة الحميدة إلَّا جزءٌ مِن مجموع، ولا أبلغ مما وصفه القرآن الكريم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم:٤].

يقول عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: كنا إذا احمرَّ البأس ولقِي القومُ القومَ، اتَّقينا برسول الله، فما يكون منا أحدٌ أدنىٰ مِن القوم منه.

وكان رسول الله ﷺ أشجعَ الناس، فقد فرَّتْ منه جيوشُ الأعداء وقادة الكفر في

كثير من المواجهات الحاسمة.

لَمَّا أصاب الصحابةَ يومَ حُنينٍ من الأذىٰ والهزيمة ما أصابَهم، فرَّ بعضهم من أرض المعركة، أما رسول الله فلم يَفرَّ، فقد ظلَّ علىٰ بَغلته ينادي بصوت عالٍ: **«أنا النبيُّ لا كذب، أنا ابن عبدالمطَّلب»**.

ويوم أُحد -يوم أن خالَف الرُّماة أمرَه، وسيطر المشركون علىٰ زِمام المعركة- لم يَتزحزح -عليه الصلاة والسلام- مِن موقفه؛ بل وقف موقفَ القائد القويِّ الشجاع، والصحابة مِن حوله يتساقطون.

يروي أبو سعيد الخدري قال: بعث علي ﷺ وهو باليمن بذَهبةٍ في تُربتها إلىٰ رسول الله، فقسَمها رسول الله ﷺ بين أربعة نفرٍ، فجاء رجل كَثُّ اللحية مُشرف الوجنتين غائر العينين، ناتئ الجبين، مَحلوق الرأس، فقال: اتَّقِ الله يا محمد، فقال رسول الله: **«فمن يُطع الله إن عصيتُه، أَيَأْمَنُني علىٰ أهل الأرض، ولا تَأمَنُوني»**.

وكان ﷺ يكره التميُّز علىٰ أصحابه، ويُحب العدل والمساواة، وتحمُّلَ المشاقِّ والمتاعب مثلهم..

فعن عبدالله بن مسعود قال: كُنا يومَ بدرٍ كلُّ ثلاثةٍ علىٰ بعير، وكان أبو لُبابة وعلي بن أبي طالب زميلَيْ رسول الله ﷺ، قال: وكانت عُقْبةُ -أي: دَور- رسول الله ﷺ فقالا: نحن نمشي عنك، فقال: **«ما أنتما بأقوىٰ مني، ولا أنا بأغنىٰ عن الأجر منكما»**.

تابع صفاته الخُلقية

٥١- وَالصِّـــدْقُ مَنْطِقُـــهُ وَهَـذَا دَأْبُهُ ... يُعْطِـــــي الأَمانَةَ قَائِمًا ومُهَجَّرَا

٥٢- بَـاتَ الْعَلِـيُّ بِفَرْشِـهِ لَـمْ يَخْـشَ بَطْـ ... ـشًـا أَوْ عَـذُولًا سَـادِرًا مُتَنَمِّـرَا

٥٣- ثِقَـةً بِـرَبِّ النَّـاسِ ثُـمَّ مُحَمَّـدٍ ... سَـيْرَ الْحَيَـاةِ وَلِيُّهَـا قَـدْ دَبَّـرَا

٥٤- وَخَرَجْتَ تَحْثُو فَوْقَهُمْ مِنْ خِزْيِهِمْ ... وَعُيُـونُهُمْ مَفْتُوحَـةٌ كَـيْ تَغْـدِرَا

وكان رسول الله مثالًا وقدوةً في صفة الصدق؛ فقَبْل بَعثته لُقِّب مِن قِبَل قريش بالصادق الأمين؛ فقد كانوا يَستودعون رسول الله ﷺ حوائجَهم، ويأتَمنونه علىٰ أشيائهم وأسرارهم، وحينما بُعِث ﷺ وأظهَر له بنو جِلدته وعشيرته العداوةَ والبغض والحربَ، ظلَّ النبي ﷺ علىٰ حُسْنِ خُلُقه، وظهَر ذلك في ردِّ الأمانات إلىٰ قوم جعلوا أنفسهم أعدىٰ أعدائه، وأكبر مِن هذا كله شهادةُ ربِّ العالمين علىٰ صدقه، فقال تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ٣٣].

والذي جاء بالصدق هو نبيُّنا محمد، والذي شهِد لِما جاء به هو الله في قرآنه المنزَّل من فوق سبع سماوات.

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت في هجرة النبيِّ ﷺ: وأمر -تعني رسول الله- عليًّا أن يتخلَّف عنه بمكة؛ حتىٰ يؤدِّي عن رسول الله الودائع التي كانت عنده للناس، وكان رسول الله وليس بمكة أحدٌ عنده شيء يُخشىٰ عليه إلا وضَعه عنده؛ لِمَا يُعلَمُ مِن صِدقه وأمانته، فخرج رسول الله وأقام علي ابن أبي طالب ثلاث ليالٍ وأيامها، حتىٰ أدَّىٰ عن رسول الله الودائع التي كانت عنده للناس، حتىٰ إذا فرَغ منها لَحِق برسول الله.

تابع صفاته الخلقية

٥٥- وَهُوَ الحَلِيمُ حَبِيبُنَا إنْ غَاضِبًا ... فَلِرَبِّهِ وَلِنَفْسِهِ مَا شَمَّرَا

٥٦- مُتَوَاضِعٌ إنْ تُهْدِهِ مُتَوَدِّدًا ... وَيَقُولُ فِيهَا الْحُبُّ بَاتَ مُسَيْطِرَا

٥٧- لا يَقْبَلُ الصَّدَقَاتِ يُنْكِرُ أَكْلَهَا ... لِذَوِي الْكِرَامِ الأَنْبِيَا عَارًا يُرَىٰ

٥٨- فَبِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِ لانَ الجَنَا ... حُ، أَلَنْتَ قَلْبًا فَاسِقًا مُتَحَجِّرَا

٥٩- لِيَكُونَ عَوْنًا خَالِصًا بِمَحَبَّةٍ ... لَوْ كُنْتَ فَظًّا هَلْ تُرَاهُ تَغَيَّرَا

قال زيدُ بن سَعْنَةَ -وكان من أحبار اليهود قبل أن يُسلم-: إنه لم يبقَ من علامات النبوَّة شيء إلا وقد عرَفتُها في وجه محمد ﷺ حين نظرتُ إليه، إلا اثنتين لم أُخْبَرْهُما منه: يَسبق حِلمُه جهلَه، ولا يَزيده شدةُ الجهل عليه إلا حِلمًا، فكنتُ أتلطَّف له لأنْ أُخالطَه، فأَعرِفَ حِلمَه وجهلَه، وقد عرَفتُه.

يقول أبو حامد الغزَّاليُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «إحياء علوم الدين»: كان ﷺ في المجمل أحلمَ الناس، وأشجع الناس، وأعدلَ الناس، وأعفَّ الناس، لم تَمسَّ يده قطُّ يد امرأةٍ لا يَملِك رِقَّها أو عصمةَ نكاحها، أو تكون ذات مَحرمٍ منه، وكان أسخىٰ الناس، لا يَبيت عنده دينار ولا درهم، وإن فضَل شيء ولم يجد مَن يعطيه وفَجَأَهُ الليلُ، لم يَأوِ إلىٰ منزله حتىٰ يتبرأَ منه إلىٰ مَن يحتاج إليه، لا يأخذ مما آتاه الله إلا قوتَ عامه فقط مِن أيسر ما يجد من التمر والشعير، ويضع سائرَ ذلك في سبيل الله، لا يُسأَلُ شيئًا إلا أعطاه، ثم يعود علىٰ قوت عامه، فيؤثِرُ منه حتىٰ إنه ربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأته شيءٌ.

والقصة: لما هدَأ ﷺ مما لاقىٰ مِن سفهاء الطائف أخَذَ يدعو ربَّه ويقول: «**اللهم، إليك أشكو ضعف قوتي، وقلَّة حِيلتي، وهواني علىٰ الناس، يا أرحم الراحمين، أنت ربُّ المستَضْعَفين، وأنت ربي، إلىٰ مَن تَكِلُني؟ إلىٰ بعيدٍ يتجهَّمُني؟ أم إلىٰ عدوٍّ ملَّكْتَه أمري؟ إن لم يكُنْ بك عليَّ غضبٌ فلا أبالي، ولكنَّ عافيتَك هي أوسعُ لي، أعوذ بنورِ وجهِك الذي أشرقَتْ له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، مِن أن تُنزِل بي**

غضبَك، أو يحِلَّ عليَّ سَخَطُك، لك العُتْبَىٰ حتىٰ ترضىٰ، ولا حول ولا قوة إلا بك».

عندما دعا رسولُ الله ﷺ هذا الدعاءَ بعَث الله تعالىٰ إليه مَلَك الجبال يَعرِضُ عليه أن يُطْبِق الأَخْشَبينِ علىٰ أهلِ مكة إن شاء -وهما جبلاها اللَّذان هي بينهما- فقال: «بل أستأني بهم؛ لعل الله أن يُخرِج مِن أصلابهم مَن يعبُدُ الله لا يشرك به شيئًا»، حقًّا بُعِثتَ رحمةً للعالمين.

قال ﷺ: «تَهادُوا تَحابُّوا»، وهذا لكي يؤلِّف بين القلوب، ويُشيع المودةَ بين الناس، ومِن تواضُعه أنه كان ﷺ يَقبَل الهَدية ممن يريد أن يتودد إليه ولو جُرعةَ لبنٍ، ويُكافئ عليها.

عن أبي هريرة عن رسول الله أنه قال: «إني لأنقلب إلىٰ أهلي فأجد التمرةَ ساقطةً علىٰ فراشي -أو في بيتي- ثم أرفعها لآكُلها، ثم أخشىٰ أن تكون صدقةً -أو من الصدقة- فألقيها».

كان ﷺ ليِّنَ الجانب، وقد ألانَ قلوبًا كثيرة كانت قاسية متحجرةً، ولكنه برِقَّته وحُسن تعامله قد غيَّر صفاتها، وهذه الرحمة التي هو عليها من رحمة الله به، مصداقًا لقوله تعالىٰ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

شق الصدر

٦٠- مَـاذَا نَقُـولُ وَقَـدْ تَنَقَّـىٰ قَلْبُـهُ ... بِيَـدِ الْمَلَائِكَـةِ الكِـرَامِ تَطَهَّـرَا

٦١- غَسَـلُوهُ بِالْمَـاءِ المُـثَلَّجِ عِـدَّةً ... لَـمْ يَبْـقَ مِنْـهُ قُـلَامُ ظُفْـرٍ أَغْبَـرَا

٦٢- قَالَـتْ حَلِيمَـةُ وَيْلَتِي هَيَّا ارْجِعُـو ... هُ لِأَهْلِـهِ تَخْشَـىٰ عَلَيْـهِ تَـأَثُّرَا

٦٣- خَـافُوا عَلَيْـه هُـمُ الَّـذِينَ تَبَرَّكُـوا، ... بَـاتَ الجَمِيـعُ لِفَقْـدِهِ مُتَكَـدِّرَا

٦٤- نَزَلَـتْ دُمُـوعُ حليمـةٍ قَـدْ حَنَّ ثَـدْ ... يٌ أَرْضَـعَتْهُ حَنَانَهَـا فَتَخَثَّـرَا

حادثُ شقِّ الصدر وقع لنبيِّ الإسلام محمدِ بنِ عبدِالله ثلاثَ مراتٍ في حياته:

المرة الأولىٰ: عند طفولته:

عندما كان في الرابعة من عمره، وهو يلعب مع أقرانه في بادية بني سعد، جاءه جبريل، وأخذه فصَرَعه، فشقَّ عن قلبه، فاستخرج القلب، واستخرج منه عَلَقةً، فقال: هذا حظُّ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأَمَهُ؛ -أي: جمعه وضمَّ بعضَه إلىٰ بعض-، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغِلْمان يسعَون إلىٰ أمِّه -يعني ظئره (مرضعته)- فقالوا: إن محمدًا قد قُتل، فاستقبلوه وهو مُنتقِع اللَّون.

المرة الثانية: عند البعثة:

عند مبعثه ليتلقَّىٰ ما يُوحىٰ إليه بقلبٍ قويٍّ في أكمل الأحوال من التطهير..

قال الحافظ في الفتح: ثبت شقُّ الصدر عند البعثة.

إن هذه الإرهاصات والمعجزات التي وقعت دليلٌ علىٰ أن الله سبحانه قد هيَّأ الكون كلَّه منذ آلاف السنين؛ ليستقبل بعثة رسول الله ﷺ الذي تُختم به الرسالة، وتتمُّ النعمة، ويَكمُل الدين، وتظهر مدىٰ قَدْر وعظمة النبيِّ لما مَنَّ الله به عليه من الرعاية الكاملة والرسالة الشاملة.

المرة الثالثة: قبيل رحلة الإسراء والمعراج:

جاءت واقعةُ شقِّ الصدر الثالثةُ قبيل الإسراء والمعراج؛ لتكون بمثابة الإعداد الإلهي لهذه الرحلة المباركة، فقد صحَّت الروايات في قيام جبريل عليه السلام بشقِّ صدر الرسول، وغسله بماء زمزم، وإفراغ الحكمة والإيمان في صدره، ولكلٍّ منها حكمةٌ:

فالأوَّل: وقع فيه من الزيادة، كما عند مسلم من حديث أنس: فأخرج عَلَقَةً، فقال: هذا حظُّ الشيطان في الإسلام منك، وكان هذا في زمن الطفولة، فنشأ على أكمل الأحوال من العِصْمة من الشيطان في الإسلام.

ثم وقع شقُّ الصدر عند البعثة زيادةً في إكرامه ليتلقَّى ما يُوحَى إليه بقلبٍ قويٍّ في أكمل الأحوال من التطهير.

ثم وقع شقُّ الصدر عند إرادة العُروج إلى السماء ليتأهَّب لمُناجاة الله.

ويُحْتَمَل أن تكون الحكمة في هذا الغسل: وقوعَ المبالغة في الإسباغ بحصول المرَّة الثالثة، كما تقرَّر في شرعه.

وجميعُ ما ورد من شقِّ الصدر واستخراج القلب وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة، ممَّا يجب التسليمُ له لصلاحية القدرة، فلا يستحيل شيءٌ على الله، ودلَّل عليها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [الشرح: ١].

قال القرطبيُّ: لا يُلتفتُ لإنكار الشقِّ ليلة الإسراء؛ لأن رواته ثقاتٌ مشاهيرُ.

معجزات حدثت يوم مولده

٦٥- صَـلُّوا عَلَيْـهِ وَسَـلِّمُوا لِكَمَالِـهِ ... أَنْ بَـدَّلَ الإِظْـلَامَ نُـورًا مُبْهِـرَا

٦٦- جَفَّتْ بُحَيْرَةُ سَاوَةٍ فِي يَوْمِ مَوْ ... لِـدِهِ مِـنَ الـدُّنْيَا، وَفَاضَـتْ أَبْحُـرَا

٦٧- نَارُ الْمَعَابِدِ أُهْمِدَتْ لِيَكُونَ نُو ... رُ الْحَـقِّ أَعْلَـىٰ وَالْمَسَـاجِدُ أَشْـهَرَا

٦٨- إِيـوَانُ كِسْـرَىٰ يَنْحَنِي مِـنْ فَـوْرِهِ ... وَتَضَعْضَـعَتْ شُـرُفَاتُهُ وَتَكَسَّـرَا

٦٩- أَصْـنَامُ بَكَّـةَ كُبْكِبَـتْ مِـن ذَاتِهَـا ... مِـيلَادُ عَهْـدٍ يُسْـقِطُ الْمُتَجَـذِّرَا

٧٠- كَانَـتْ أُمُـورٌ سَـيِّئَاتٌ كُلُّهَـا ... إِلْـفُ الْقَبِـيحِ، يَـرَاهُ فِعْـلًا مُنْكَـرَا

٧١- وَالأُمُّ تَحْكِي كَيْـفَ نُـورٌ شَـقَّهَا ... وَالْبَـدْرُ أَطْـرَقَ يَسْـتَحِي أَنْ يَظْهَـرَا

٧٢- الأُمُّ أَسْـمَتْ أَحْمَـدًا وَالْجَـدُّ قَـا ... لَ مُحَمَّـدٌ كَتَـبَ الإِلَـهُ وَذَكَّـرَا

في حديث أبي محمد كعب بن عجرة ﷺ قال: خرج علينا النبي ﷺ فقلنا يا رسول الله: قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك؟ قال: «**قولوا: اللهم صل علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد، كما صليت علىٰ آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد، كما باركت علىٰ آل إبراهيم إنك حميد مجيد**». (متفق عليه).

يقـول الله تعـالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وقـد حـدثت معجـزاتٌ كثيـرةٌ في يـوم مولـده، منهـا أن بحيـرة سـاوة جفَّـت، ولم يحدث لها ذلك منذ ألف عام سابقة.

بحيرة ساوة: من البحيرات الفريدة لما تتَّصف به من ارتفاع نسبة الملوحة فيها مقارنةً بباقي البحيرات والأنهار في العراق. يتقلَّب مستوىٰ المياه في البحيرة بين مواسم الجفاف والرطوبة.

أقصىٰ طول للبحيرة: (أربعون ألفا وأربعة وسبعون ٧٤ , ٤ كم)، **وأقصىٰ عرض:** (٧٧ , ١ ألف وسبعة وسبعون كم)، وهي مُحاطة بحاجز كلسي يبلغ سُمكه (٥ , ١٢ اثنا عشر ألفا وخمسة كم).

لا تجفُّ بحيرة ساوة بسبب التوازن بين الكمية المضافة من المياه الجوفية، وكمية المياه المتبخِّرة منها.

منطقة بحيرة ساوة جزء من السهل الجبسي، وتتَّصف الأرض بالاستواء والانبساط.

تزداد درجة الميل بصورة عامة من الشمال الغربي إلىٰ الجنوب الشرقي بمعدَّل ارتفاع (٧ , ٢ متر) اثنين وسبعة بالكيلومتر الواحد، وتكثر في المنطقة الظواهر الطبيعية مثل: السبخة والكثبان الرملية.

تمتلك البحيرة القدرة علىٰ بناء جدران ملحيَّة تتشكَّل أساسًا من الجبس.

هذه الجدران الملحية تُشكِّل حاجزًا يمنع مياه البحيرة من التبدِّي والطفحان علىٰ الأراضي المجاورة.

يصل ارتفاع الجدران الملحية ستة أمتار، وتُبنىٰ الجدران بتبخُّر المياه المشبعة بالأملاح في الحافَات الضحلة للبحيرة، وتنمو إلىٰ أعلىٰ بمرور الوقت، وتُصبح أعلىٰ من مستوىٰ البحيرة مُشكِّلة أشكالًا غريبةً تُشبه ثمرة القُنَّبيط.

تنتشر الترسُّبات الملحية علىٰ طول الشاطئ مُشكِّلة معرضًا للمنحوتات الفنية الطبيعية، يُسمِّيها العراقيُّون لؤلؤة الجنوب؛ لأنها لا تتَّصل بأي نهرٍ أو بحرٍ.

فيها الأسماك والأحياء المائية، وهي غنيةٌ بالمعادن التي يُمكن اتِّخاذها لعلاج الأمراض الجلدية.

تتغذَّىٰ الطيور المهاجرة علىٰ أسماكها.

أصبحت واحةً مهجورةً بعد الحروب، وتبحث لها الحكومة الآن عن مستثمرين.

نار فارس المجوسية التي يعبدونها والتي لا تُطفأ ليلًا أو نهارًا، أطفئت في ذلك اليوم المبارك يوم مولد الرسول -صلوات الله عليه-.

إيوان كسرىٰ يهتزُّ ويسقط منه أربع عشْرةَ شرفةً، وما من سرير لملك إلا قُلِب بالجالس عليه، وأصاب الملوك الخرسُ من هول ما رأوا في ذلك اليوم.

إيوان كسرىٰ -أو طاق كسرىٰ كما يُعرف محليًّا- هو الأثر الباقي من أحد قصور كسرىٰ آنوشروان، يقع جنوب مدينة بغداد في موقع مدينة قطيسفون الذي يقع في منطقة المدائن في محافظة واسط بين مدينة الكوت ومدينة بغداد، وتُعرف محليًّا ولدىٰ العامة بـ(سلمان باك) علىٰ اسم الصحابي الشهير سلمان الفارسي المدفون هناك.

هذا الأثر يُمثِّل أكبر قاعة لإيوان كسرىٰ مسقوفة علىٰ شكل عقد دون استخدام دعامات أو تسليح ما، يُسمَّىٰ محليًّا ولدىٰ العامة بـ(طاق أو طاك كسرىٰ).

آثار الإيوان المغطَّىٰ ما زالت محتفظةً بأبهتها، وكذلك الحائط المشقوق، وتقوم دائرة الآثار في العراق بصيانة البناء والعناية به.

يقال: تساقطتْ الأصنام في الكعبة علىٰ وجوهها، وأصبحت الأصنام كلُّها صبيحةَ وُلد النبيُّ ﷺ ليس منها صنمٌ إلا وهو مُنكبٌّ علىٰ وجهه، وارتجس في تلك الليلة إيوان كسرىٰ كما قيل من قبل، وسقطتْ منه أربع عشرة شرفة، وغاضتْ بحيرة ساوة، وفاض وادي السماوة، وخمدت نيرانُ فارس، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، ورأىٰ الموبذان في تلك الليلة في المنام إبلًا صعابًا تقود خيلًا عرابًا، قد قطعتْ دجلةً، وانسربت في بلادهم، وانقصم طاق الملك كسرىٰ من وسطه، وانخرقت عليه دجلة العوراء.

ويقال وقعتْ يومَ ولادته المباركة أحداثٌ عجيبةٌ، منها أنه وُلِد مختونًا مقطوع السُّرة، ويقول:

«الله أكبر، والحمد لله كثيرًا، سبحان الله بكرةً وأصيلًا».

ويقال: إن تلك المعجزات ضعيفة لم تثبت، وهي من تأليف القصاصين، وأنا لا أستبعد حدوثها، فمن انشق له القمر ليس بغريب أن تحدث مظاهر كونية تدل على ميلاده.

وانتشر في تلك الليلة نورٌ من قبل الحجاز، ثم استطار حتى بلغ المشرق، ولم يبقَ سريرٌ لملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوسًا، والملِك مُخرسًا لا يتكلَّم يومه ذلك، وانتُزع علم الكهنة، وبطَل سحرُ السحرة، ولم تبق كاهنةٌ في العرب إلا حُجبت عن صاحبها، وعظُمت قريشٌ في العرب، وسُمُّوا آل الله ﷻ، وكلُّها أشياءُ تُبرهن على الشأن العظيم للوليد الجديد، على أنَّه ليس عاديًّا، بل هو كغيره من الأنبياء العظام الذين رافقت ولادتهم أمثالُ تلك الحوادث العجيبة والوقائع الغريبة.

كانت أُمُّه قد سمَّته أحمدَ قبل أن يسمِّيَه جَدُّه، وكان هذا الاسم نادرًا بين العرب، فلم يُسمَّ به منهم سوى (١٦ شخصًا)؛ ولذا فإنَّه كان من إحدى العلامات الخاصَّة به.

وقال عن تسميته النبيَّ الكريم ﷺ محمَّدًا، وعن سببه: «**أردت أن يُحمَد في السماء والأرض**».

وهذه رواية عن الإمام جعفر بن محمد الصادق ﷺ بشأن ولادة النبيِّ محمد ﷺ.

نشـــأته ﷺ

٧٣- وَنَشَـأْتَ يَـا خَيْـرَ الكِـرَامِ مُنَزَّهًـا ... عَـنْ أَيِّ فِعْـلٍ كَـانَ قَبْـلُ مُيَسَّـرَا

٧٤- وَنَشَـأْتَ بَـيْنَ رِفَـاقِ سُـوءٍ فِعْلُهُـمْ ... مُتَرَفِّعًـا بُغْضًـا وَلَـمْ تَتَكَبَّـرَا

٧٥- قَدْ كُنْتَ مَحْفُوظًا فَلَا يَوْمًا لَهَوْ ... تَ وَلَا شَـرِبْتَ وَلَا اقْتَرَفْـتَ الْمَيْسِـرَا

٧٦- قَـدْ كُنْـتَ فِـيهِمْ صَـادِقًا بِأَمَانَـةٍ ... حَتَّـىٰ بُعِثْـتَ بِرَحْمَـةٍ وَمُبَشِّـرَا

٧٧- وَلِـذَا نَـرَاهُمْ يَقْبَلُـونَ بِحُكْمِـهِ ... مَـنْ يَرْفَـعُ الْحَجَـرَ الَّـذِي قَـدْ صُـدِّرَا

٧٨- لِشَـرِيفِ كَفَّيْـهِ الْمَفَـازَةُ وَالْعُـلَا ... أَتَـرَىٰ يَكُـونُ سِـوَىٰ يَـدَيْكَ الْأَطْهَـرَا؟!

يتحدث رسول الله ﷺ عن مظاهر حفظ الله له قبل النبوة، وفي صغره من نزعات الشباب، ودواعيه فيقول ﷺ: «ما هممت بقبيح مما كان أهل الجاهلية يهمون به، إلا مرتين من الدهر، كلتيهما يعصمني الله منهما، قلت ليلة لفتىٰ كان معي من قريش بأعلىٰ مكة في أغنام أهله يرعاها: أبصر إلي غنمي حتىٰ أسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان، قال: نعم، فخرجت، فجئت أدنىٰ دار من دور مكة، سمعت غناء وضرب دفوف ومزامير، فقلت: ما هذا؟».

فقالوا: فلان تزوج فلانة.

«فلهوت بذلك الغناء وبذلك الصوت حتىٰ غلبتني عيني، فما أيقظني إلا حر الشمس فرجعت».

فقال: ما فعلت؟

«فأخبرته، ثم قلت له ليلة أخرىٰ مثل ذلك، ففعل، فخرجت، فسمعت مثل ذلك، فقيل لي مثل ما قيل لي، فلهوت بما سمعت حتىٰ غلبتني عيني، فما أيقظني إلا مسُّ الشمس، ثم رجعت إلىٰ صاحبي».

فقال: فما فعلت؟

قلت: «**ما فعلت شيئًا**»، ثم قال رسول الله ﷺ: «**فوالله ما هممت بعدها بسوء مما يعمل أهل الجاهلية حتىٰ أكرمني الله بنبوته**» رواه ابن حبان.

لما وصلت قريش في بناء الكعبة إلىٰ الحجر الأسود، بدأ النزاع بين أشراف مكة علىٰ من يأخذ هذا الشرف العظيم بوضع الحجر الأسود مكانه، فلمَّا زاد النزاع بينهم أقسم بنو عبد الدار وهم المسؤولون عن الكعبة، وقالوا: نحن حجبة الكعبة، والله ما يضعُ الحجر الأسود غيرُنا وأتوا بإناء به دم، ووضعوا أيديهم في الدم ورفعوها، وقالوا: والله، ما يضعُ الحجر الأسود غيرُنا إلا بالدم، وعندما رأىٰ بنو مخزوم هذا المنظر جاؤوا أيضًا بإناء به دم، وقالوا أيضًا ما نترك هذا إلا بالدم، وأيضًا بنو عدي ابن كعب فعلوا ذلك، وبدا أن القتال سيحْتدم بينهم من أجل أخذ شرف وضع الحجر الأسود مكانه، فأتىٰ رجلٌ حكيمٌ وهو أكبر أهل قريش سنًّا اسمه أبو أمية بن المغيرة قال: يا قوم، علامَ تفنون أنفسكم؟! إذا تقاتلتم من يبقىٰ في قريش (لأن كلَّ هؤلاء سادةُ قريش) فتعازموا علىٰ تحكيم أحد الناس، فوافقوا وتعاهدوا علىٰ قبول التحكيم، فقالوا لأبي أمية: منْ نُحكِّم؟ قال: تحكمون بأول من يدخل من باب بني شيبة، فقالوا: أجل، وبينما هم منتظرون إذ دخل النبيُّ من هذا الباب، قالوا: الصادق الأمين، الصادق الأمين، رضينا، رضينا، وبالفعل الكلُّ أجمع علىٰ الموافقة علىٰ حكم النبيِّ، وحكَوا له قصة النزاع الذي بينهم، فنزع النبيُّ ثوبه الشريف ووضعه علىٰ الأرض، وحمل النبيُّ الحجر الأسود بيديه، ووضع الحجر الأسود علىٰ الثوب، ثم نادىٰ سادة قريش من كلِّ القبائل، وقال: «**احملوا الثوب**» فكلُّهم اشتركوا في حمل الحجر الأسود حتىٰ رفعوه إلىٰ مكانه، ثم رفع النبيُّ الحجر الأسود من الثوب، ووضعه في مكانه بيديه الشريفتين، فحلَّ النبيُّ هذه المشكلة التي كادت تؤدِّي إلىٰ القتال بين أهل قريش.

السيدة خديجة

٧٩- يَـا أَيُّهَـا المُـدَّثِّرُ المُزَّمِّـلُ الـ ـمَحْزُونُ خَوْفًـا مِـنْ قِلًـىٰ فَتَحَيَّـرَا

٨٠- كَيْفَ القِلَىٰ يَا رَحْمَةٌ لَوْ كَانَ مَا أَوْحَـىٰ إِلَيْـكَ بِدِينِـهِ وَتَخَيَّـرَا!!

٨١- وَهِـيَ الحَنُـونُ وَأَهْلُـهُ وَخَدِيجَـةٌ وَمَقَالُهَـا فِـي الـدَّهْرِ يَسْـرِي أَنْهُـرَا

٨٢- وَاللهِ لَا يُخْزِيـكَ رَبُّـكَ يَـا مُعِيـ ـنُ عَلَـىٰ النَّوَائِـبِ وَالْعَفِيـفُ فَأَبْشِـرَا

٨٣- يَـا حَامِـلَ الْكَـلِّ العَيِـيِّ وَمُنْصِـفًا تَصِـلُ القريـبَ وَضَـيْفَ بَيْتِـكَ سُـتِّرَا

٨٤- عَرَفَـتْ تُوَاسِـي قَلْبَـهُ بِمَحَبَّـةٍ وَكَلَامُهَـا قَـدْ سَـرَّهُ فَاسْتَبْشَـرَا

تُقسم السيدة الفاضلة والزوجة الحنون أنه لن يتعرَّض لسوءٍ أبدًا، لمَّا حدَّثها ﷺ بشأن الْمَلَك الذي نزل عليه بغار حراء، حيث قال لها مُعبرًا عن خشيته: «لقد خشِيتُ علىٰ نفسي» فظلَّت تُعدِّد أفضاله ومآثره التي لا تجعل الله يخذله أبدًا فقالت وأوجزت:

كلَّا، أبشرْ، فوالله، لا يُخزيكَ الله أبدًا؛ إنك لتصِلُ الرَّحِمَ، وتصدق الحديث، وتحمل الكَلَّ، وتَقري الضيف، وتُعين علىٰ نوائب الحق.

فأنت تُعين علىٰ نوائب الدهر فمصائب الأيام كثيرةٌ، وجِراح الواقع كبيرةٌ، فيأتيك طالبُ العون فتُعينه علىٰ نائبته، ويأتيك المكروب فتُعينه علىٰ كُربته، أنت الظَّهر للبائسين، فأنت لجراحهم الطبيب، وأنت ليتيمهم الأب، وهكذا يجب أن تكون الزوجة الصالحة حين يتعرَّض زوجها لمِحنة.

فتوضِّح له بكلِّ صراحةٍ أن الله لن يُخزيه لعلَّةٍ واحدةٍ، هي أنه مواظبٌ علىٰ العبادات الاجتماعية التي يحبُّها الله، فأنت تحمل الكَلَّ وهو العاجز، لا تُعينه فقط؛ بل تحمله، ولا تحمله فقط، بل تحمله هو وحاجته، لا ينزل عنك إلا وقد قضيت مسألتَه، ورحمْتَ ذُلَّه وانكساره، وأسعدْتَ قلبَه.

وصدق أحمد شوقي حين وصفه ببيتٍ يُعدُّ حِكْمةً ويُجمل خصاله:

وإذا رحمْـــتَ فأنـــت أمٌّ أو أب هـــذان في الـــدُّنيا همـــا الرُّحَمـــاء

إنها تتحدَّث إلىٰ زوجها كطبيبة نفوسٍ، وكفيلسوفة فكرٍ، وكعالمةٍ في سُنَن الله ونواميسه في الخليقة.. إنها بكلماتها تلك تؤكِّد ما قاله رسول الله ﷺ:

«صنائع المعروف إلىٰ الناس تقي صاحبها مصارع السوء، والآفات والهلكات...»؛ صحيح الحاكم، عن أنس.

معجزات له في حياته

٨٥- يَـا مَـنْ لَـهُ قَمَـرُ السَّـمَاءِ مُقَسَّـمٌ ... رُمْـدُ الْقُلُـوبِ رَأَوْهُ سِـحْرًا مُـؤْثَرَا

٨٦- يَبْكِي عَلَيْـهِ الْجِـذْعُ حُـزْنَ فِرَاقِـهِ ... لَمَّـا بَنَـوْا دَرَجًـا لَـهُ وَالْمِنْبَـرَا

٨٧- رَقَّ الـرَّحِيمُ لِحَالِـهِ مُتَـأَثِّرًا ... نَـزَلَ الْحَبِيـبُ وَمَسَّـهُ فَتَصَـبَّرَا

٨٨- لَـمْ يُرْضِـهِ جَبَـلٌ يَصِـيرُ بِـأَمْرِهِ ... ذَهَبًـا لَـهُ، بِيَدَيْـهِ كَـانَ مُيَسَّـرَا

٨٩- لا الشَّمْسُ تُوضَعُ بِالْيَمِينِ يُرِيدُهَا ... أَوْ فِـي مَتَـاعٍ زَائِـلٍ قَـدْ فَكَّـرَا

٩٠- إِخْلَاصُـهُ لله كَـانَ مُؤَكَّـدًا ... مَـا كَـانَ عَـنْ دِيـنٍ قَـوِيمٍ أَعْـذَرَا

٩١- الْهَـمُّ رَفْـعُ الرَّايَـةِ الْكُبْـرَىٰ عُـلَا ... والشَّـانِئُونَ وَحِـزْبُهُمْ أَنْ يَبْتُـرَا

٩٢- لَا الْعَـيْشُ إِلَّا عَيْشَـهُ لِمَآلِـهِ ... هَـذَا الَّـذِي لِبُلُوغِـهِ أَنْ يَفْخَـرَا

معجزات النبي ﷺ كثيرةٌ، اختَلَف في تحديد عددها العلماءُ فمنها:

الإسراء والمعراج، ونبع الماء من بين أصابعه، وتكثير الماء القليل ببركته، وجعْل قليل الطعام كثيرًا حتىٰ وفَّىٰ بالقوم وزاد، وتسبيح الماء بين يديه، وحنين الجذع، وانقياد الشجر له، وسرعة إجابة دعوته، وأمُّ المعجزات هي حادثة انشقاق القمر.. أما أعظمُ معجزةٍ: فهي القرآن الكريم الذي قال فيه ربُّ العزة:

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٨].

وفي الصحيح عن أنس بن مالك، أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يُريَهم آيةً، فأراهم القمرَ شِقَّيْنِ حتىٰ رأَوْا غار حراء بينهما.

قال القاضي رَحِمَهُ اللَّهُ: انشقاق القمر من أُمَّهات معجزات نبيِّنا ﷺ وقد رواها عِدَّةٌ من الصحابة رضي الله عنهم مع ظاهر الآية الكريمة وسياقها.

ولقد كان كفَّار قريش يظنُّون أن كلَّ معجزة من النبي ﷺ هو الذي يصنعُها ويأتي بها، فأرادوا أن يتَحدَّوه فطلبوا منه آيةً سماويةً..

وفي كتب السنة يُروَىٰ أن سيدنا رسول الله ﷺ قبل أن يُهاجر من مكةَ المكرمةِ إلىٰ المدينة المنورة بخمس سنواتٍ جاءه نفرٌ من قريش، وقالوا له: يا محمدُ، إن كنتَ حقًّا نبيًّا ورسولًا فأْتِنا بمعجزةٍ تشهد لك بالنبوة والرسالة، فسألهم: «ماذا تريدون؟» قالوا: شُقَّ لنا القمر، علىٰ سبيل التعجيز والتحدِّي، فوقف المصطفىٰ ﷺ يدعو ربَّه أن ينصُرَه في هذا الموقف، فألهمه ربُّه -تبارك وتعالىٰ- أن يُشير بإصبعه الشريفة إلىٰ القمر، فانشقَّ القمرُ إلىٰ فلْقتين، تباعدتْ كلٌّ منهما عن الأخرىٰ لعدة ساعاتٍ متَّصلة، ثم التحمتا، فقال الكفار: سحَرَنا محمدٌ، لكن بعض العقلاء قالوا: إن السحر قد يؤثِّر علىٰ الذين حضروه، لكنه لا يستطيع أن يُؤثِّر علىٰ كلِّ الناس، فانتظروا الركبان القادمين من السفر، وسارع الكفار إلىٰ مخارج مكة ينتظرون القادمين من السفر، فحين قدم أول ركب سألهم الكفار: هل رأيتم شيئًا غريبًا حدث لهذا القمر؟ قالوا: نعم، في الليلة الفلانية رأينا القمر قد انشقَّ إلىٰ فلقتين تباعدت كلٌّ منهما عن الأخرىٰ ثم التحمتا؛ فآمن منهم من آمن، وكفر من كفر؛ ولذلك يقول الحقُّ تبارك وتعالىٰ في كتابه العزيز:

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾﴾ [القمر: ١ - ٣].

ثم جاء الأمريكان وقاموا بأكثر رحلات الفضاء كلفةً، فقد تكلَّفت أكثرَ من مائة ألف مليون دولار ليُثبتوا حقيقةً علميةً، وهي أن القمر انشقَّ في يومٍ من الأيام ثمَّ التحم؛ حيث وجدوا حزامًا من الصخور المتحوِّلة يقطع القمر من سطحه إلىٰ جوفه إلىٰ سطحه، وباستشارة علماء الأرض.

نعود ونقول: إن معجزة خاتم الأنبياء والمرسلين هي القرآن الكريم؛ معجزة لا ترتبط بحياته، وإنما جاءتْ منفصلةً قائمةً بذاتها، لا تزول بوفاته ﷺ بما فيها من

إخباراتٍ كَشَفَ العلم عنها في الوقت الحاضر؛ قال تعالىٰ:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣].

وحديث أنين الجذع مشهورٌ، والخبرُ به متواترٌ، رواه من الصحابة بضعة عَشَرَ نفرًا، وقال الترمذي: وحديث أنس صحيحٌ.

قال جابر بن عبدالله: كان المسجد مسقوفًا علىٰ جذوع نخل، فكان النبيُّ ﷺ إذا خطب يقوم إلىٰ جِذْعٍ منها، فلما صُنِع له المنبرُ سمعنا لذلك الجِذع صوتًا كصوت العِشَار.

وفي رواية أنس: حتىٰ ارتجَّ المسجد بخُواره.

وفي رواية سهل: وكثُر بكاء الناس لما رأوا به.

وفي رواية المطلب وأُبيٍّ: حتىٰ تصدَّع، وانشقَّ، حتىٰ جاء النبي ﷺ فوضع يدَه عليه فسكت.

وزاد غيره: أن النبي ﷺ قال: «**إن هذا بكىٰ لما فَقَدَ من الذكر**».

وزاد غيره: أنه قال: «**والذي نفسي بيده، لو لم ألتزمه لم يزل هكذا إلىٰ يوم القيامة**»، فأمر به رسول الله ﷺ فدُفِن تحت المنبر.

وفي حديث أُبيٍّ: فكان إذا صلىٰ النبي ﷺ صلَّىٰ إليه، فلما هدم المسجد أخذه أُبيٌّ، فكان عنده إلىٰ أن أكلته الأرض، وعاد رُفاتًا.

والقصة: قال ابن إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وحدثني يعقوب ابن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حُدِّث أن قريشًا حين قالوا لأبي طالب: يا أبا طالب، إن لك سنًّا وشرفًا ومنزلةً فينا، وإنَّا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهَهُ عنَّا، وإنا والله لا نصبر علىٰ هذا مِنْ شَتْم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتىٰ تكفَّه عنَّا، أو ننازله وإياك في ذلك، حتىٰ يهلك أحدُ الفريقين.

فبعث إلىٰ رسول الله ﷺ فقال له: يا ابن أخي، إن قومَك قد جاؤوني، فقالوا لي: كذا وكذا، فأبْقِ عليَّ وعلىٰ نفسك، ولا تُحمِّلْني من الأمر ما لا أطيق.

فظنَّ ﷺ أنه قد بدا لعمِّه فيه أنه خاذِلُه ومُسْلِمُه، وأنه قد ضعف عن نُصْرته والقيام معه، قال رسول الله:

«ياعم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري، علىٰ أن أتركَ هذا الأمرَ حتىٰ يُظهِرَه الله، أو أهْلِك فيه، ما تركتُه».

قال: ثم استعبر ﷺ فبكىٰ ثم قام، فلما ولَّىٰ ناداه أبو طالب، فقال: أقبل يا ابن أخي، قال: فأقبل عليه، فقال: اذهب يا ابن أخي، فقل ما أحببتَ، فوالله لا أُسْلِمُك لشيء أبدًا. رواه أبو جعفر البختري، وابن عساكر من طريق أبي يعلىٰ وغيره كلاهما عن يونس بن بُكير.

أخبرنا طلحة بن يحيىٰ، عن موسىٰ بن طلحة، قال: حدثني عقيل بن أبي طالب، قال: جاءت قريش إلىٰ أبي طالب، فقالوا: أرأيتَ أحمدَ؟ يؤذينا في نادينا، وفي مسجدنا فانهَهُ عن أذانا، فقال: يا عقيلُ، ائتني بمحمدٍ، فذهبتُ فأتيته به، فقال: يا ابن أخي إنَّ بني عمِّك زعموا أنك تُؤذيهم في ناديهم، وفي مسجدهم، فانتهِ عن ذلك.

قال: فلحظ رسول الله ﷺ ببصره.

وفي رواية: فحلَّق رسول الله ﷺ ببصره إلىٰ السماء، فقال: فذكره قال: **«أتَرُونَ هذه الشمس؟»**.

قالوا: نعم.

قال: **«ما أنا بأقْدَرَ علىٰ أنْ أدعَ لكم ذلك علىٰ أن تَسْتشْعِلوا لي منها شُعْلةً»**.

فقال أبو طالب: ما كَذَبَنا ابنُ أخي، فارجعوا.

قال الألباني: هذا إسناد حسن رجاله كلُّهم رجال مسلم، وفي يونس بن بُكير، وطلحة بن يحيىٰ كلامٌ لا يضرُّ. اهـ

وذكر الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ الخبرَين في السيرة، وقال عن حديث عقيل: رواه البخاري في «التاريخ» عن أبي كُريب، عن يونس، وحسَّنه الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ.

وكان ﷺ مخلصًا لدينه في كلِّ معاملاته وعباداته، فنراه يُوجِّه المجاهد ألَّا يُقاتل إلا لإعلاء كلمة الله، ونراه يأمر طالب العلم بألَّا يتعلَّم إلا ابتغاءَ وجه الله، ونراه يُعلن أن أحقَّ الناس بشفاعته هم المخلصون؛ ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي﴾ [الزمر:١٤].

وقد كان همُّه ﷺ كل همِّه رفعُ راية الإسلام عالية، وأن يجعل راية الدين في عليِّين، أما المبغضون لدين الله وحزبهم لابد أن يَقطعَ دابرَهم ويبتُرهم كما يُبتَر العضوُ الفاسدُ في الجسم.

والنبي الخاتم ﷺ يعلم جيدًا أن الدنيا ليست بدارِ قرارٍ، والعيش الحقيقي يكون في الآخرة؛ فقد كان ﷺ يقول:

«اللهُمَّ لا خير إلا خير الآخرَة، فانْصُر الأنصار والمهاجِرَة».

الإسراء والمعراج

٩٣- مَـا مِـنْ نَبِـيٍّ قَبْلَـهُ إلَّا اقْتَـدَىٰ ... بِمُحَمَّـدٍ وَبِدِينِـهِ قَـدْ بَشَّـرَا

٩٤- وَعَلَـىٰ السَّـلَامِ قَـدِ اهْتَـدَوْا ... يَتَسَـارَعُونَ، فَمَـنْ يَكُـونُ مُبَكِّـرا؟

٩٥- أَنْـتَ الْمُمَيَّـزُ عِنْـدَ رَبِّـكَ دُونَهُـمْ ... أَنْـتَ الْمُؤَيَّـدُ أَنْـتَ أَوْثَقُهُـمْ عُـرَىٰ

٩٦- وَلِـذَا نَـرَىٰ الرُّسُـلَ الْكِـرَامَ يُقَدِّمُو ... نَ مُحَمَّـدًا لَمَّـا المُـؤَذِّنُ كَبَّـرَا

٩٧- وَصَعِدْتَ يَحْمِلُكَ الأَمِينُ مُجَنَّحًا ... وإِلَـىٰ مَكَـانٍ بَعْـدَهُ لَـنْ يَعْبُـرَا

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: فمن كان متَّبعًا لشرع التوراة أو الإنجيل الذي لم يبدَّل ولم يُنسخْ فهو علىٰ دين الإسلام، كالذين كانوا علىٰ شريعة التوراة بلا تبديل قبل مَبْعث المسيح عليه السلام، والذين كانوا علىٰ شريعة الإنجيل بلا تبديل قبل مَبْعث محمد ﷺ. (مجموع الفتاوىٰ: ٢٧/ ٣٧٠).

عن عبدالله بن عمرو قال: قال النبي ﷺ: «**حَوْضي مَسِيرة شهر، ماؤه أبيضُ من اللَّبَن، وريحُه أطيبُ من المسْكِ، وكِيزانُه كنجومِ السَّماء، من شَرِبَ منها فلا يَظْمأ أبدًا**»؛ (رواه البخاريُّ ومسلم).

وعن سهل بن سعد قال: سمعت النبيَّ ﷺ يقول: «**أنا فَرَطُكم علىٰ الحَوْض، فمَنْ وَرَدَهُ شَرِب منه، ومَنْ شرِب منه لم يَظْمأ بَعْدَه أبدًا...**»؛ (رواه البخاريُّ ومسلم).

وهذه الأحاديث صريحةٌ في أن من شرب من حوض النبيِّ ﷺ من ذَكَرٍ أو أُنْثىٰ فلا يظمأ بعد ذلك أبدًا.

ثبت في السنَّة الصحيحة أن النبيَّ ﷺ أمَّ إخوانَه الأنبياءَ في رحلته إلىٰ بيت المقدس.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**... وقد رأيْتُني في جماعةٍ من الأنبياء فإذا موسىٰ قائمٌ يُصلِّي، فإذا رجلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ كأنَّه من رجال شَنُوءة، وإذا عيسىٰ بن مريم عليه السلام قائمٌ يُصلِّي، أقْربُ الناس به شَبَهًا عُرْوةُ بنُ مسعودٍ الثقفيُّ، وإذا إبراهيم عليه السلام**

قائمٌ يُصلِّي أشْبَهُ الناس به صاحِبُكم -يعني: نفسه- فحانَتِ الصَّلاة فأمَمْتُهُم»؛ (رواه مسلم).

اختلف العلماء: هل كانت تلك الصلاة قبل عُروج النبيِّ ﷺ إلىٰ السماء أو بعد أن هبط منها؟

والراجح: الرأي الأول.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: قال عياض: يُحتمَل أن يكون صلَّىٰ بالأنبياء جميعًا في بيت المقدس، ثم صعد منهم إلىٰ السماوات مَنْ ذُكِر أنه ﷺ رآه، ويُحتمَل أن تكون صلاته بهم بعد أن هبط من السماء فهبطوا أيضًا.

والأظهر: أن صلاته بهم ببيت المقدس كان قبل العروج. (فتح الباري).

حوار التشهّد: يبدأ المشهد بسيدنا رسول الله وهو يمشي في معيّة سيدنا جبريل في طريقهما لسدرة المنتهىٰ في رحلة المعراج، وفي مكان ما يقف سيدنا جبريل عليه السلام فيقول له سيدنا محمد: «أهنا يَتْرُكُ الخليلُ خليلَه؟».

فيقول سيدنا جبريل: «لكُلٍّ منَّا مقامٌ معلومٌ، أنت إذا تقدَّمْتَ اخترقْتَ، وأنا إذا تقدَّمتُ احترقْتُ».

وصار سيدنا جبريل كالحلس البالي من خشية الله، فتقدم سيدنا محمد إلىٰ سدرة المنتهىٰ واقترب منها..

ثم قال سيدنا رسول الله: «التحيات لله والصلوات الطيبات».

رد عليه رب العزة: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته».

قال سيدنا رسول الله: «السلام علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين».

فقال سيدنا جبريل -وقيل: الملائكة المقربون-: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمَّداً رسول الله».

هل نستشعر عند قراءة التشهد هذا الحوار الراقي؟!

هل نستشعر أن سيدنا رسول الله تذكرنا هناك عند سدرة المنتهىٰ، وقال: «**السلام علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين**».

وسئل علماء اللجنة الدائمة: هل التشهد الذي نقرؤه في الصلاة هو الذي قاله رسول الله ﷺ وهو ساجد عند سدرة المنتهىٰ في المعراج؟

فأجابوا: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: علمني رسول الله ﷺ التشهد كفِّي بين كفيه، كما يعلمني السورة من القرآن: «**التحيات لله والصلوات الطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله**». (رواه الجماعة).

وفي لفظ أن النبي ﷺ قال: «**إذا قعد أحدكم في الصلاة فليقل التحيات لله...**»، وذكره.

وفيه عند قوله: «**وعلىٰ عباد الله الصالحين**»: «**فإنكم إذا فعلتم ذلك فقد سلمتم علىٰ كل عبد لله صالح في السماء والأرض**».. وفي آخره: «**ثم يتخير من المسألة ما شاء**». (متفق عليه).

ولأحمد من حديث أبي عبيدة، عن أبيه عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال: علَّمه رسول الله ﷺ التشهد وأمره أن يعلمه الناس (**التحيات لله**)، وذكره.

الهجـــــرة

٩٨- يَـا سَـاعِيًا بِالحُـبِّ فَـاحَ عَبِيـرُهُ ... وَمَلَأْتَنَـا مِسْـكًا يُخَـالِطُ عَنْبَـرَا

٩٩- أَمَّـا الَّـذِينَ أَصَـابَهُمْ دَاءُ الغُـرُو ... رِ لِأَجْـلِ جَـاهٍ أَوْ صَـدِيقٍ أَدْبَـرَا

١٠٠- خَسِرُوا التَّقَرُّبَ والرِّضَا مَاذَا جَنَوْا ... بِعَدَائِهِمْ؟! قَدْ خَابَ ظَنُّ مَنِ افْتَرَىٰ

١٠١- لَمَّـا رَأَوْا نَسْـجَ الخُيُـوطِ بِغَـارِهِ ... عَضُّـوا الأَنَامِـلَ وَالشُّـعُورَ تَحَجَّـرَا

١٠٢- أَمَّـا الحَمَـامُ فَنَـائِمٌ كَـيْ يُفْقِسَ الـ ... ـبَيْضَ المُعَـدَّ لِخِـزْيِهِمْ وَيُكَـدِّرَا

١٠٣- سَلْ عَنْهُمَا يَا مُنْكِرًا فِي المُسْنَدِ الـ ... مَوْصُـوفِ صِـدقًا وَالإِمَـامُ تَبَصَّـرَا

١٠٤- وَسُـرَاقَةٌ غَاصَـتْ قَـوَائِمُ رَحْلِـه ... عَـرَفَ الخَـلَاصَ (بِـلَا إِلَـهَ) تَقَهْقَـرَا

والقصة: جاء الوليد بن المغيرة إلىٰ النبيِّ ﷺ واستمع إلىٰ القرآن رَقَّ له قلبه، وقال: لقد سمعتُ كلامًا لا هو من كلام الإنس، ولا من كلام الجنِّ، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمِرٌ أعلاه، مُغْدِقٌ أسفلُه، وإنه يعلو ولا يُعلىٰ عليه، وإنه لَيَحْطِم ما تحته.

فلما وصل هذا الرأي إلىٰ زعماء قريش قالوا: لقد صبأ الوليد، والله لئن صبأ الوليد لتصبأنَّ قريش كلها، فقد كانوا يسمُّون الوليد ريحانةَ قريش، فلما سمع بذلك أبو جهل قال: أنا أكفيكم شأنَه، فانطلق حتىٰ دخل عليه بيته حزينًا، وقال له: أي عم، إن قومَكَ يُريدون أن يجمعوا لك مالًا، وقُلْ في محمدٍ قولًا يَعْلم منه قومُك أنك مُنكِرٌ لقوله كارهٌ له، قال:

وماذا أقول؟! فوالله ما فيكم من رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برَجَزِه ولا بقَصِيده، ولا بأشعار الجنِّ مني، والله ما يُشبِهُ الذي يقولُ شيئًا من هذا، والله إن لقوله الذي يقول حلاوةً، وإن عليه لطلاوةً، وإنَّه لمثمرٌ أعلاه، مُغْدِقٌ أسفلُه، وإنه ليعلو وما يُعلىٰ عليه، وإنه لَيَحْطِم ما تحته.

قال: لا يرضىٰ عنك قومُك حتىٰ تقول فيه.

قال: فدعني حتىٰ أفكِّر، فلما فكَّر قال: هذا سِحْرٌ يُؤثرُ، يَأْثُرُه عن غيره، فأنزل الله علىٰ نبيِّه ﷺ آياتٍ من سورة المدثِّر من قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [سورة المدثر:١٨-٣٠].

والقصة: سُراقة بن مالك المدْلجي الكناني (ت ٢٤ هـ) سيدُ بني مُدْلِج، وأحدُ أشراف قبيلة كنانة وصحابيٌّ جليلٌ، يرجع نسلُه إلىٰ سيدنا إسماعيل عليه السلام، وكان بنو مدلج يُعرَفون بأنهم قفاة العرب وأهل القيافة، فكان الوحيدَ من أهل الطَّلَب الذي استطاع اللحاق بالنبي محمدٍ، وأبي بكر الصديق ودليلهما عبدالله بن أريقط الليثيِّ الكنانيِّ أثناء هجرتهم إلىٰ المدينة، وهو يومئذٍ مُشركٌ؛ طمعًا في جائزة قريش، فلما اقترب من الرسول ﷺ انغرست قَدمَا فرسه في الوحْل، فطلب من رسول الله أن يدعوَ الله؛ لينجيَه ممَّا هو فيه، علىٰ أن يرجع عنهم ويُعْمِي عنهم الطلب، فدعا له رسول الله، ثم قال ﷺ: «**كيف بِكَ إِذا لبستَ سِوَارَيْ كسرىٰ ومِنْطَقَتَه وتاجَه**».

فقال سُراقة: كسرىٰ بن هرمز؟!

فقال رسول الله: «**نعم**».

إسلامه:

يقول سُراقةُ عن إسلامه: حتىٰ إذا فتح الله علىٰ رسوله مكةَ، وفرغ من حنين والطائف، خرجت، ومعي الكتاب لأَلقاه، فلَقِيته بالجعرانة، فدخلت في كتيبة من خيل الأنصار، فجعلوا يقرعونني بالرماح، ويقولون: إِليكَ إِليكَ، ماذا تريد؟ حتىٰ دَنَوتُ من رسول الله وهو علىٰ ناقته، والله لكأني أنظر إلىٰ ساقه، في غَرْزِه كأَنه جُمَّارة، فرفعت يدي بالكتاب، ثم قلت: يا رسول الله، هذا كتابُك لي، وأنا سُراقة بن مالك بن جُعْشُم، فقال رسول الله: «**هذا يومُ وَفاءٍ وبِرٍّ، ادْنُه**»، فدنوتُ منه، فأَسلمت.

تحقُّق وعد النبيِّ له ولبسه سوارَيْ كسرىٰ:

يقول سُراقة: لما فتح سعد بن أبي وقاص المدائن في زمن خلافة عمر ابن الخطاب، أرسل سواري كسرىٰ وتاجَه ضمن الغنائم إلىٰ الخليفة، دعا عمر سُراقة ابن مالك وألبسه إياهما، وكان سُراقة رجلًا أَزَبَّ كثيرَ شعر الساعدين، وقال له: ارفع يديك، وقل: الله أكبر، الحمد لله الذي سلبهما كسرىٰ ابن هرمز، الذي كان يقول: أنا ربُّ الناس، وألبسهما سُراقةَ رجلًا أعرابيًّا من بني مُدْلِج، ورفع عمر صوته.

مات سُراقة سنة (٢٤) في خلافة عثمان بن عفان، وقيل: مات بعد عثمان.

السيدة عائشة

١٠٥- عَن عائِشٍ: خُلُقُ النَّبيِّ مُحمَّدٍ ... قــرآنُ ربِّ الكــونِ يَمشِــي مُشــهَرَا

١٠٦- في بيتِــه هُــوَ مُــؤنِسٌ مُتعــاوِنٌ ... هُــوَ -حيــثُ كــانَ- نَمُــوذجٌ لــك أَبْهَــرَا

١٠٧- وَهُوَ الَّذِي ضاء المكانُ بوَجْهِهِ ... ظَهَــرَ المَخِــيطُ كنُــورِ شــمسٍ، أظهَــرَا

١٠٨- لــو خَيَّــروكَ حَبِيبَنــا بَــيْنَ الأُمُــو ... رِ، أَكُنْــتَ تَرضَــىٰ دونَ مــا قَــدْ يَسَّــرَا؟

١٠٩- وتقــومُ لَيْلَــكَ مُحْيِيًــا مُتَــوَرِّمَ الْــ ... ــــقَدَمينِ شُــكرًا خالصًــا مُتكــرِّرَا

١١٠- تَدْعو لنفسِك بالهدايةِ أَنْتَ هــا ... دِينَــا وجــاءَ الهَــدْيُ مِنــكَ وأَثْمَــرَا

والقصة: جاء في حديث طويل في قصةِ سعد بن هشام بن عامر، حين قدِم المدينة وأتىٰ عائشة رضي الله عنها يسألها، فقال: فقلت: يا أمَّ المؤمنين، أنبِئيني عن خُلُق رسول الله ﷺ قالت: ألستَ تقرأُ القرآن؟ قلت: بلىٰ، قالت: فإن خُلُق نبيِّ الله ﷺ كان القرآنَ.

معناه: العمل به، والوقوف عند حدوده، والتأدُّب بآدابه، والاعتبار بأمثاله وقصصه، وتدبُّره، وحسن تلاوته.

فعلىٰ الرغمِ من انشغالاته الدائمةﷺ فإنه كان يخصِفُ النعلَ، ويرقَع الثوب، ويحلِب الشاة، ويقُمُّ البيت، ويكون في خدمةِ أهله، ويقطَع اللحم معهن، وها هو يقول ﷺ: «خيرُكم خيرُكم لأهله، وأنا خيرُكم لأهلي».

وقال ﷺ: «لا يفرَكنَّ مؤمنٌ مؤمنة، إن كرِه منها خُلُقًا رضِي منها خُلُقًا آخر».

أولُ حقٍّ للزوجة هو المعاشرة الحسنة من قِبَل الزوج؛ قال تعالىٰ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

ومعلومٌ أن الرسول ﷺ كان يُكرِم زوجاته، ويتحبَّب إليهن، وإذا سئل عن أحب الناس إليه، قال: (عائشة) وأنه كان يقِفُ لها حتىٰ تُشاهِد لعب الحبشة بجوار المسجد، وكان يُسابِقها وتُسابِقه، وكان يضعُ رُكْبته لتصعَد عليها صفيَّةُ إلىٰ ناقتها،

ويقوم عندما تأتيه ابنتُه فاطمة، ويأخذ بيدها ويُقبِّلها ويُجلِسها، وكان يُكرِم مَن يزوره من كرام السيدات، خاصة مَن كن يَزُرْنه أيام خديجة رضي الله عنها، ويفرش لهن رداءه.

والقصة: لله دَرُّ السيدة عائشة لما قالت: كنتُ في حُجْرتي أخيط ثوبًا لي فانكفأ المصباحُ وأظلمتِ الحجرة، وسقط المِخيَط -أي الإبرة- فبينما كنت في حيرتي أتحسَّس مخيطي؛ إذ أطل عليَّ رسولُ الله ﷺ بوجهه من باب الحجرة، رفع الشملة وأطلَّ بوجهه، قالت: فواللهِ الذي لا إله إلا هو، لقد أضاءَت أرجاء الحجرة مِن نور وجهه، حتىٰ لقد التقطتُ المِخيَط من نور طلعته، ثم التفت إليه، فقلت: بأبي أنت يا رسول الله، ما أضوأَ وجهَك! فقال: «**يا عائشة، الويل لمن لا يراني يوم القيامة**».

قالت: ومَن ذا الذي لا يراك يوم القيامة يا رسول الله؟ قال: «**مَن ذُكِرت عنده فلم يُصلِّ عليَّ**». (رواه الترمذي في الحديث: ٣٥٤٦).

والقصة: قالت عائشة رضي الله عنها: ما خُيِّر ﷺ بين أمرينِ إلا اختار أيسرَهما، إلا أن يكون فيه إثمٌ أو قطيعةُ رَحِم..

ولابد أن يُفهَم أولُ كلامها رضي الله عنها في ضوءِ آخرِه، ولا يصح بتر الكلام.

ففي قولها: ما لم يكن إثمًا أو قطيعةُ رَحِم، بيانُ أن اختيار النبيِّ ﷺ للأيسر مشروطٌ ببُعْده عن الإثم.

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبيَّ ﷺ كان يقوم مِن الليل حتىٰ تتفطَّر قدماه، فقلتُ له: لِمَ تصنَعُ هذا يا رسول الله، وقد غفَر الله لك ما تقدَّم مِن ذنبك وما تأخَّر؟ قال: «**أفَلا أُحِبُّ أن أكونَ عبدًا شكورًا؟**»، هذا لفظ البخاريِّ، ونحوه في الصحيحين من رواية المغيرة بن شعبة، باب المجاهدة.

فعائشة رضي الله عنها مِن أعلمِ الناس بحال النبيِّ ﷺ فيما يصنَعُه في السرِّ، وكذلك نساؤه رضي الله عنهن؛ لهذا كان كبارُ الصحابةِ يَبْعثون إلىٰ نساء النبي ﷺ يسألونهن عما كان يصنع في بيته، وقد قال الله تعالىٰ في سورة المزمِّل: ﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ

أَلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾ [المزمل: ٢٠].

فكان يقومُ عليه الصلاة والسلام أحيانًا أكثرَ الليل، وأحيانًا نصف الليل، وأحيانًا ثُلُثَ الليل؛ لأنه عليه الصلاة والسلام يُعطِي نَفْسَه حقَّها من الراحة، مع القيام التام بعبادة ربه، صلوات الله وسلامه عليه، فكان يقوم أدنىٰ مِن ثُلُثَيِ الليل؛ يعني: فوق النصف ودون الثُّلُثَين، ونصفَه وثُلُثَه، حسب نشاطِه عليه الصلاة والسلام، وكان يقومُ حتىٰ تتورَّمَ قدماه وتتفطَّرَ من طول القيام؛ أي: يتحجَّر الدمُ فيها وتنشقَّ.

وقد قام معه شبابٌ مِن الصحابة رضي الله عنهم، ولكنهم تعِبوا، فهذا حذيفة بن اليَمان رضي الله عنه قام معه ذات ليلةٍ، فقرأ النبي ﷺ البقرة والنساء وآل عمران، الجميع خمسة أجزاء وربع تقريبًا، ويقول حذيفة: كلما أتَتْ رحمةٌ سأل، وكلما أتَتْ آيةُ تسبيحٍ سبَّح، وكلما أتت آيةُ وَعِيدٍ تعوَّذ، وهو معروفٌ عنه عليه الصلاة والسلام أنه كان يُرتِّل القراءة.

وهكذا كان النبي عليه الصلاة والسلام يقرأ في الليل، إذا أطال القراءة أطال الركوع والسجود أيضًا، فكان يطيل القراءة والركوع والسجود.

وفي هذا دليلٌ علىٰ أن الشكر هو القيامُ بطاعة الله، وأن الإنسان كلما ازداد في طاعة ربه عز وجل، ازداد شكرًا لله عز وجل، وليس الشكرُ بأن يقول الإنسان بلسانه: أشكر الله، أحمد الله، فهذا شكر باللسان، لكن الكلام هنا علىٰ الشكر الفعليِّ الذي يكون بالفعل، بأن يقوم الإنسان بطاعة الله بقدر ما يستطيع.

وفي هذا دليلٌ أيضًا علىٰ فضيلة قيام الليل وطول القيام، وقد أثنىٰ الله علىٰ مَن يقومون الليل ويُطِيلون، فقال عز وجل: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾؛ يعني: تبتَعِد عن الفرش.

﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾؛ أي: إذا نظَروا إلىٰ ذنوبهم خافوا وإذا نظَروا إلىٰ فضل الله تعالىٰ طمِعوا في فضله، ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا

وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٦- ١٧].

جاء في الحديث القدسي ما يُبيِّن ذلك؛ حيث قال الله ﷻ: «أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأَتْ، ولا أُذُنٌ سمِعَتْ، ولا خطَر علىٰ قلب بشر».

جعلني الله وإياكم مِن ساكني هذه الجنان، إنه جَوَاد كَرِيمٌ.

فتح مكة

١١١- مَـن جـاءه رَأْسُ العُتَـاةِ مُطَأْطِئًـا ... في فـتحِ مكَّـةَ بالحديـدِ مُجَرْجَـرَا

١١٢- قال: اذهَبُوا طُلَقاءَ، ما قال الكَلا ... مَ لحاجـةٍ يَزْنُـو لهـا أو مُجْبَـرَا

١١٣- بل مِن سماحةِ نفسِه رَحِمَ العَزِيـ ... ـزَ لذُلِّـه، وَيَتِـيمَهُم لـنْ يَقْهَـرَا

١١٤- الحمـدُ للهِ الـذي بَعَـثَ الهُـدَىٰ ... وأمَـدَّ نُـورَ الحـقِّ يَبْقَـىٰ نَيِّـرَا

١١٥- أستـغفرُ اللهَ الـذي يَمْحُـو لنـا ... زَلَّاتِنـا مِـن غيـرِ حـولٍ طَهَّـرَا

والقصة: يُسمَّىٰ فتح مكة الفتح الأعظم، وهي غزوةٌ وقعت في العشرين من رمضان في العام (الثامن من الهجرة، الموافق ١٠ يناير ٦٣٠م)، استطاع المسلمون من خلالها فتحَ مدينة مكة وضمَّها إلىٰ دولتهم الإسلامية، وسبب الغزوة هو أن قبيلة قُريش انتهكت الهُدْنة التي كانت بينها وبين المسلمين، وذلك بإعانتِها لحلفائها من بني الدئل بن بكر ابن عبد مَنَاة بن كنانة -تحديدًا بطن منهم يقال لهم بنو نفاثة- في الإغارة علىٰ قبيلة خُزاعة الذين هم حلفاء المسلمين، فنقضت بذلك عهدَها مع المسلمين الذي سُمِّي (بصُلْح الحُدَيبية).

وردًّا علىٰ ذلك؛ جهَّز الرسول ﷺ جيشًا قوامُه عشرةُ آلاف مقاتل لفتح مكة، وتحرَّك الجيش حتىٰ وصل مكة، فدخلها سلمًا بدون قتالٍ، إلا ما كان مِن جهة القائد المسلم خالد بن الوليد؛ إذ حاول بعضُ رجال قريش -بقيادة عكرمة ابن أبي جهل- التصدِّي للمسلمين، فقاتلهم خالد وقتل منهم اثني عشر رجلًا، وفرَّ الباقون منهم، وقُتل مِن المسلمين رجلانِ اثنان، ولما نزَل الرسولُ ﷺ بمكة واطمأنَّ الناس، جاء الكعبةَ فطاف بها، وجعل يطعَنُ الأصنام التي كانت حولها بقوسٍ كان معه، ويقول:

﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء: ٨١].

و﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ ﴾ [سبأ:٤٩].

ورأىٰ في الكعبة الصُّوَر والتماثيل، فأمر بها فكُسِرت، ولما حانَتِ الصلاةُ، أمر الرسول ﷺ بلالَ بنَ رَبَاحٍ أن يصعَدَ فيُؤذِّن مِن علىٰ الكعبة، فصعِد بلالٌ وأذَّن.

كان من نتائج فتح مكة اعتناقُ كثيرٍ مِن أهلها دينَ الإسلام، ومنهم سيد قريش وكنانةَ أبو سفيان بن حرب، وزوجتُه هندُ بنت عُتْبة، وكذلك عِكْرِمة بن أبي جهل، وسُهَيل ابن عمرو، وصفوان بن أمية، وأبو قحافة والدُ أبي بكر الصديق، وغيرهم.

والقصة: لما فتح رسولُ الله ﷺ مكة، جمع قريشًا، فقال لهم: «**يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوةَ الجاهلية وتعظُّمها بالآباء، الناس مِن آدمَ، وآدمُ مِن تراب**»، ثم تلا هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

ثم قال: «**يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل فيكم؟**».

قالوا: خيرًا، أخٌ كريم، وابن أخٍ كريم.

قال: «**اذهَبُوا فأنتم الطلقاء**».

رحيلـــــه ﷺ

١١٦- ومعَ الحبيبةِ عـائشٍ يَنْسىٰ الهُمُو ... مَ وحبُّهـــا قلـــبٌ أعـــانَ وصـــبَّرا

١١٧- ورحَلْتَ يا خيرَ الكرامِ علىٰ وَجِيـ ... ـــبِ فؤادِهـــا، والشـــوقُ فيـــه تفجَّـــرَا

١١٨- بعـد الـذي قَـدْ ذُقْتَـه مِـن رِيقِهـا ... عُـــودًا سَـــقَتْهُ نَـــداوةً أو سُـــكَّرَا

والقصة: قالت رضي الله عنها، لَمَّا مرِض النبيُّ ﷺ مرضَه الأخير، كانت رغبتُه أن يُمرَّض في بيت عائشة، فأذِنَت له زوجاتُه، وفي فترة مرضه تلك جاءه بلالٌ يُؤذِنُه بالصلاة، فقال النبيُّ ﷺ: **«مُرُوا أبا بكرٍ فليُصَلِّ بالناس»**.

فقالت عائشة: يا رسول الله، إن أبا بكر رجلٌ أَسِيفٌ، ومتىٰ ما يقوم مَقامَك يبكي، فلا يستطيع، فلو أمرتَ عمرَ فصلَّىٰ بالناس.

فقال ﷺ: **«مُرُوا أبا بكر فليُصَلِّ بالناس، فإنكن صَوَاحِبَاتُ يوسف»**.

وقالت عائشة بعد ذلك: فواللهِ، ما حمَلني حينئذٍ أن أُكلِّمَه في ذلك إلا كراهيةَ أن يشأَمَ الناسُ بأولِ رجلٍ يقوم مَقامَ رسول الله أبدًا.

ودُفِن النبيُّ محمدٌ ﷺ في حجرة عائشة، في المكان الذي توفِّي فيه.

ويروي سعيد بن المسيِّب عن عائشة أنها رأَتْ في منامها كأن ثلاثةَ أقمارٍ سقَطَت في حُجْرتها، فسألت أباها، فقال: يا عائشة، إن تَصْدُقْ رُؤياك يُدفَن في بيتك خيرُ أهل الأرض ثلاثة..

فلما تُوفِّي النبيُّ محمدٌ ﷺ ودفن، قال لها أبو بكر: يا عائشة، هذا خير أقمارك، وهو أحدُها، ثم دفن بعد ذلك في حجرتها أبو بكر وعمر بن الخطاب، فكان ذلك تمام ثلاثة الأقمار.

القصة: في يوم الوفاة دخل عبدالرحمن بن أبي بكر وبيدِه السِّواك، وعائشة مُسنِدَةٌ النبيَّ محمدًا ﷺ إلىٰ صدرِها، فرأَتْه ينظر إلىٰ عبدالرحمن فعرَفَتْ أنه يُحِبُّ السواك..

فقالت: آخذُهُ لك؟

فأشار برأسه أَنْ نَعَمْ، فناوَلَتْه فاشتدَّ عليه.

فقالت: أُلَيِّنُه لك؟

فأشار برأسه أن نعم، فليَّنَتْه.

ثم حضَرَتِ النبيَّ محمدًا ﷺ الوفاةُ، فتذكُر عائشة ذلك قائلةً:

فمات في اليوم الذي كان يدورُ عليَّ فيه في بيتي، فقبضه الله وإنَّ رأسه لبَيْنَ نَحْري وسَحْري، وخالط ريقه ريقي.

وتقولُ عائشة رضي الله عنها: كان من فضل ربي عليَّ أنه جمع بين ريقي وريقِ النبيِّ ﷺ قبل أن يموت.

أمنيـــــات

١١٩- كمُل الجمالُ مِن البُحُورِ لِكَامِلٍ بتمامِـهِ سَـجَّلْتُ حُسْـنَكَ للـوَرَىٰ

١٢٠- ليكونَ لي عند الرجاءِ شَفاعةً وجـوازَ شُـرْبي مِـن يَـدَيْكَ الكَـوْثَرَا

١٢١- يـا ربَّنـا وفَّقتَنـي لشـهادةٍ مَيْمُونـةٍ، فـالله شـاء ويَسَّـرَا

١٢٢- فاجعَلْ بها عملًا وعِلْمًا يُبْتَغَىٰ وَجْـهُ الإلـهِ، يكـون عَوْنًـا مُـؤْزَرَا

وأخيرًا علىٰ قدر جهدي وبتمام بحرِ الكامل الذي به يكمل الجمال أنشدْتُ قصيدتي في أكمل خلق الله، سجَّلتُ بها حسنَه ومحاسن، أملا في شربةٍ هنيئةٍ من يده ومن يشرَبُها لا يظمأ بعدها أبدًا.

ثم الالتفات إلىٰ رب العالمين بالشكر أن وفَّقتَني يا ربنا لكتابةِ هذه القصيدة للنبيِّ ﷺ؛ لتكونَ شهادةً مباركة مني لخيرِ الورىٰ، فقد شئت بفضلك وكرمك لي هذا الجهدَ، ويسَّرت لي الأمر حتىٰ أتمَمْتُه..

فاجعل يا الله هذا العمل عملًا طيبًا وعلمًا نافعًا، أبتغي منه وجه الله، وشُدَّ به مِن عزيمتي، وقوِّ به ضَعْفي، وساعدني ليكون عونًا منك لي ودعمًا مؤيدًا منك.

القصيدة الثانية

وثاني اثنين[٢]

الصديق

١- جَـزَىٰ رَبِّـي أَبَـا بَكْـرٍ وَأَرْضَـاهُ ... وَخَيَّـبَ مَـنْ بِجَهْـلِ الحِقْـدِ عَـادَاهُ

٢- فَثَـانِي اثْنَيْنِ فِـي الأَخْـدَاثِ أَكْبَرُهَـا ... وَثَـانِي اثْنَـيْنِ إِذْ نَـادَاهُ مَـوْلَاهُ

٣- وَأَوَّلُهُـم بِـدِينِ اللهِ تَصْـدِيقًا ... وَأَوَّلُهُـم إِذَا لِلْأَمْـرِ وَلَّاهُ

٤- ولَـيس لَـهُ قَـدِيمَ الـدَّهْرِ مَعْصِـيَةٌ ... تُوَرِّثُـهُ وفَضْـلُ اللهِ زَكَّـاهُ

٥- فَكَـانَ الصِّـدْقُ وَالإِخْـلَاصُ مَنْشَـأَهُ ... لأَجْـلِ الصَّـادِقِ المَصْـدُوقِ يَحْيَـاهُ

---

(٢) أبو بكر الصديق، عبدالله بن عثمان التيمى القرشى (٥٠ ق هـ - ١٣هـ/ ٥٧٣م - ٦٣٤م).

* أولُ الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشَّرين بالجنة، وهو وزيرُ نبيِ الإسلام محمد ﷺ، وصاحبُه، ورفيقُه عند هجرته إلىٰ المدينة المنورة، وهو خير الناس بعد الأنبياء والرسل، وأكثر الصحابة إيمانًا وزهدًا، وأحب الناس إلىٰ النبي محمد ﷺ بعد زوجته عائشة.

* عادةً ما يُلحَق اسمُ أبي بكر بلقب الصِّدِّيق، وهو لقبٌ لقَّبه إياه النبي محمدٌ ﷺ لكثرة تصديقه إياه.

* وهو مِن أغنياء قريش في الجاهلية، وأولُ مَن أسلم مِن الرجال الأحرار، ثم هاجر أبو بكر مُرافقًا للنبي ﷺ من مكة إلىٰ المدينة، وشهِد غزوةَ بدرٍ والمشاهد كلَّها مع النبي محمد ﷺ، ولَمَّا مرِض النبي ﷺ مرضَه الذي مات فيه، أمر أبا بكر أن يَؤمَّ الناس في الصلاة، تُوفِّي النبي محمد ﷺ يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١١هـ.

* بُويع أبو بكر بالخلافة في اليوم نفسه، فبدأ بإدارة شؤون الدولة الإسلامية؛ من تعيين الولاة والقضاء، وتسيير الجيوش.

وارتدَّت كثيرٌ مِن القبائل العربية عن الإسلام، فأخذ يُقاتِلها ويُرسِل الجيوش لمحاربتها، حتىٰ أخضع الجزيرة العربية بأكملها تحت الحكم الإسلامي، ولَمَّا انتهت حروب الرِّدَّة، بدأ أبو بكر بتوجيهِ الجيوش الإسلامية لفتح العراق وبلاد الشام، ففتح معظم العراق وجزءًا كبيرًا مِن أرض الشام.

روي عن النبي ﷺ أنه قال:

«مَا دَعَوْتُ أَحَدًا إِلَىٰ الإِسْلامِ إِلا كَانَتْ عَنْهُ كَبْوَةٌ وَتَرَدُّدٌ وَنَظَرٌ إِلا أَبَا بَكْرٍ مَا عَتَّمَ مِنْهُ حِينَ ذَكَرْتُهُ وَمَا تَرَدَّدَ فِيهِ».

وأبو بكر رضي الله عنه لم يكن يشرب الخمر في الجاهلية، وكان من أعفِّ الناس في الجاهلية... قال: كنت أصون عرضي، وأحفظ مروءتي.. ولم يسجد لصنم قط.

يقول أبو بكر: ولم أكن سمِعت قبل ذلك بنبيٍّ يُنتظر ويُبعث، فلما بُعث رسول الله آمنتُ به وصدَّقتُه.

والصِّدِّيق: لقَّبه به النبيُّ ﷺ وذلك أنَّ النبيَّ ﷺ كان قد صعد جبل أُحُد ومعه أبو بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، فرجف بهم الجبل فقال النبيُّ ﷺ:

«اثبت أُحُدُ، فإنما عليك نبيٌّ وصدِّيق وشهيدان».

وأمَّا سبب تسميته بالصِّدِّيق فهو لكثرة تصديقه للنبيِّ ﷺ.

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: لما أُسري بالنبيِّ إلىٰ المسجد الأقصىٰ أصبح يتحدَّث الناس بذلك، فارتدَّ ناسٌ كانوا آمنوا به وصدَّقوه، وسعىٰ رجال إلىٰ أبي بكر، فقالوا: هل لك إلىٰ صاحبك؟ يزعم أنه أسري به الليلة إلىٰ بيت المقدس، قال: وقد قال ذلك؟، قالوا: نعم، قال: لئن قال ذلك فقد صدق، قالوا: أوتصدقه أنه ذهب الليلة إلىٰ بيت المقدس، وجاء قبل أن يصبح؟! قال: نعم، إني لأصدِّقُه فيما هو أبعد من ذلك، أصدِّقه بخبر السماء في غدوة أو روحة، فلذلك سمِّي أبا بكر الصديق.

يعتق العبيد

٦- عَتِيـــقُ اللهِ مَعْـــرُوفٌ بِحِكْمَتِـــهِ فَأَبْشِـــرْ بِـــالْمُنَىٰ كَرَمًـــا وَبُشْـــرَاهُ

٧- وَيُعْتِـــقُ مِـــنْ عَبَـــادِ اللهِ مَـــنْ لَبَّـــىٰ وَيُعْلِـــنُ: لا إِلَـــهَ سِـــوَاهُ نَخْشَـــاهُ

٨- فَـــلَا يَخْشَـــىٰ لِتَـــوٍّ؛ بَطْـــشَ سَـــيِّدِهِ لِيُفْـــرِغَ نَفْسَـــهُ لِلـــدِّينِ دَعْـــوَاهُ

٩- وَلَـــمْ يَبْخَـــلْ بِـــأَمْوَالٍ وَلَا جَهْـــدٍ وَلَـــمْ يَخْـــشَ افْتِقَـــارًا أَوْ تَـــوَلَّاهُ

١٠- وَلَـــمْ يَأْسَـــفْ عَلَـــىٰ مَـــالٍ وَلَا وَلَـــدٍ فَمَـــنْ بِفَضَـــائِلِ الإِحْسَـــانِ ضَـــاهاهُ

١١- وَهَـــا هُـــوَ ذَا رَسُـــولُ اللهِ بَشَّـــرَهُ مَـــعَ الصَّـــحْبِ الكِـــرَامِ يَكُـــونُ مَـــأْوَاهُ

العتيق: لقَّبه به النبيُّ أيضا، فقد قال له: «**أنت عتيق الله من النار**» فسمِّي عتيقًا، وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها: دخل أبو بكر الصديق على رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله: «**أبشر، فأنت عتيق الله من النار**».

وقد ذَكَر المؤرِّخون أسبابًا كثيرةً لهذا اللقب، فقد قيل: إنما سمِّي عتيقًا لجمال وجهه، وقيل: لأنه كان قديمًا في الخير، وقيل: سمي عتيقًا لعتاقة وجهه، وقيل: إنَّ أمَّ أبي بكر كان لا يعيش لها ولد، فلما وَلَدَتْه استقبلت به الكعبة وقالت:

اللهم إنَّ هذا عتيقك من الموت فهبه لي.

استمرَّ أبو بكر في شراء العبيد والإماء والمملوكين من المسلمين والمسلمات وعتقهم، ومنهم: بلال، عامر بن فهيرة، وأم عبيس (أو أم عميس)، وزنيرة، وقد أصيب بصرها حين أعتقها فقالت قريش: ما أذهب بصرَها إلا اللات والعزىٰ، فقالت: كذبوا، وبيت الله ما تضر اللات والعزىٰ وما تنفعان، فردَّ الله بصرها، كما أعتق النهدية وبنتها، وابتاع جارية بني مؤمل وكانت مسلمةً فأعتقها.

أمَّا عتقه لبلال فله قصة وهي: لما علم سيدُه أميَّة بن خلف بأنه أسلم، راح يهدِّده تارة ويغريه أطوارًا، فأبىٰ بلال أن يترك الإسلام، فحنق عليه أميَّة، وقرَّر أن يُعذِّبه عذابًا شديدًا، فأخرجه إلىٰ شمس الظهيرة في الصحراء بعد أن منع عنه الطعام والشراب يومًا

وليلة، ثم ألقاه علىٰ ظهره فوق الرمال المحرقة الملتهبة، ثم أمر غلمانه فحملوا صخرةً عظيمةً وضعوها فوق صدر بلال وهو مقيَّد اليدين، ثم قال له:

لا تزال هكذا حتىٰ تموتَ أو تكفرَ بمحمد وتعبدَ اللات والعزىٰ.

وأجاب بلال: **أَحَدٌ أحدٌ.**

وبقي أميَّة بن خلف مدةً وهو يعذِّب بلالًا بتلك الطريقة البشعة، فقصد أبو بكر موقع التعذيب، وفاوض أميَّة بن خلف وقال له:

ألا تتقي الله في هذا المسكين؟ حتىٰ متىٰ؟!

قال: أنت أفسدته فأنقذه مما ترىٰ.

فقال أبو بكر: أفعل، عندي غلام أسود أجلد منه وأقوىٰ علىٰ دينك، أعطيكه به.

قال: قد قبلت.

فقال: هو لك.

فأعطاه أبو بكر غلامه ذلك، وأخذ بلالًا فأعتقه.

وفي رواية أخرىٰ: اشتراه بسبع أواق أو بأربعين أوقية ذهبًا.

أسلم علىٰ يديه: الزبير بن العوام، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيدالله، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، فانطلقوا إلىٰ النبيِّ ومعهم أبو بكر، فعرض عليهم الإسلام، وقرأ عليهم القرآن، وأنبأهم بحقِّ الإسلام فآمَنوا، ثم جاء بعثمان بن مظعون، وأبي عبيدة بن الجراح، وأبي سلمة بن عبدالأسد، والأرقم بن أبي الأرقم، فأسلموا.

كما دعا أبو بكر أسرته وعائلته، فأسلمت بنتاه: أسماء وعائشة، وابنه: عبدالله، وزوجته: أم رومان، وخادمه عامر بن فهيرة.

لما خرج مهاجرًا مع النبيِّ ليلةَ (٢٧ سبعٍ وعشرين من صفر سنة ثلاث عشرة ١٣ من البَعثة النبوية، الموافق اثني عشر ١٢ من سبتمبر سنة ٦٢٢م، ستمائة واثنين وعشرين) حَمَل معه مالَه كلَّه في تلك الليلة، ولم يترك في البيت شيئًا، وكان مالُه خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم، فجاء جَدُّ أسماءَ أبو قُحافةَ إلىٰ البيت، ولم يكن قد أسلم بعدُ، وكان قد عُمِي، فقال لها:

إن هذا -يقصد أبا بكر- قد فَجَعكم بماله ونفسه.

فقالت: كلا يا أبتِ، إنه قد ترك لنا خيرًا كثيرًا، فعمدت إلىٰ أحجار، فجعلتهن في كوَّة البيت، وغطَّت عليها بثوب، ثم أخذت بيده، ووضعتها علىٰ الثوب.

وقالت: يا أبتِ، ضع يدك علىٰ هذا المال، فوضع يده عليه.

فقال: لا بأس، إذا كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن، وفي هذا بلاغ لكم.

في غار ثور

١٢- وَثَانِي اثْنَيْنِ فِي غَارٍ وَفِي كَرْبٍ ... وَحِينَ دَعَاهُ صَاحِبُهُ فَلَبَّاهُ

١٣- رَسُولُ اللهِ يَرْجُوهُ لِصُحْبَتِهِ ... إِلَىٰ أَنْ يَأْذَنَ المَوْلَىٰ بِلُقْيَاهُ

١٤- فَزَفَّ إِلَيهِ أُمْنِيَةً أَعَدَّ لَهَا ... فَكَانَتْ قَبْلَ مَوْعِدِهَا مَطَايَاهُ

١٥- ثَلَاثُ الغَارِ ظَلَّلَهُ بِمُهْجَتِهِ ... يُتَابِعُهُ وَلَمْ تَخْذُلْهُ عَيْنَاهُ

١٦- حَبِيبُ اللهِ صَاحِبُهُ يُؤَمِّنُهُ ... مِنَ المَكْرُوهِ يَحْمِيهِ وَيَرْعَاهُ

١٧- يَسُدُّ بِرِجْلِهِ جُحْرًا فَيُدْمِيهِ ... فَيُلْقِمُ رِجْلَهُ الأُخْرَىٰ بِتَقْوَاهُ

١٨- وَأَخْفَىٰ دَمْعَةً تَجْرِي عَلَىٰ أَلَمٍ ... وَيَنْبِضُ قَلْبُهُ بِالوَجْدِ أَشْجَاهُ

فلما اشتدَّ البلاء علىٰ المسلمين بعد بيعةِ العَقَبة الثانية، أذِن الرسولُ ﷺ لأصحابه بالهجرة إلىٰ المدينة المنورة، فجَعَلوا يخرجون ويُخْفُون ذلك، فنزلوا علىٰ الأنصار في دورِهم فآوَوهم ونصروهم، وأقام النبي ﷺ بمكةَ ينتظر أن يُؤذَن له في الهجرة، ولم يتخلَّف معه بمكة إلا من حُبس أو فُتن، إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر، وكان أبو بكر كثيرًا ما يستأذن النبيَّ ﷺ في الهجرة، فيقول النبي ﷺ له: «**لا تعجَلْ لعلَّ الله يجعل لك صاحبًا**»، فيطمع أبو بكر أن يكونَه.

فلما قال له النبي ﷺ: «**لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحبًا**»؛ طمِع أبو بكر بأن يكونَ هو الصاحبَ، فابتاع راحلتينِ، فاحتبسهما في دار يعلفُهما؛ إعدادًا لذلك.

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: كان لا يُخطِئ رسولُ الله أن يأتي بيتَ أبي بكر أحدَ طرفَي النهار، إما بُكرةً وإما عشيًّا، حتىٰ إذا كان اليوم الذي أذِن الله فيه لرسولِه في الهجرة والخروج مِن مكة من بين ظهرَاني قومه، أتانا رسولُ الله بالهاجرة في ساعة كان لا يأتي فيها، فلما رآه أبو بكر قال: ما جاء رسولُ الله في هذه الساعة إلا لأمرٍ حدث، فلما دخل تأخَّر له أبو بكر عن سريره، فجلس رسولُ الله وليس عنده أحد إلا أنا

وأختي أسماء بنت أبي بكر، فقال رسول الله: «أخرج عني مَن عندك»، قال أبو بكر: يا رسول الله إنما هما ابنتاي، وما ذاك فداك أبي وأمي؟! قال ﷺ:

«إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة»، فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله؟ قال: «الصحبة»، قالت عائشة: فوالله ما شعرت قطُّ قبل ذلك اليوم أن أحدًا يبكي من الفرح حتىٰ رأيت أبا بكر يومئذٍ يبكي، قال أبو بكر:

يا نبي الله، إن هاتين راحلتانِ كنتُ أعددتُهما لهذا، واستأجرا عبدَالله بن أريقط الكناني، رجلًا من بني الدئل بن بكر من كنانة، وكان مشركًا، يدلُّهما علىٰ الطريق، ودفعا إليه راحلتَيْهما، فكانتا عنده يرعاهما لميعادِهما، ولم يعلَمْ بخروج النبي ﷺ أحدٌ حين خرج إلا علي بن أبي طالب، وأبو بكر، وآل أبي بكر، فلما أزمع النبي ﷺ الخروجَ، أتىٰ أبا بكر فخرجا مِن خوخة لأبي بكر في ظهر بيته، ثم عمدا إلىٰ غار بثَوْرٍ، وهو جبلٌ بأسفل مكة فدخلاه، وأمر أبو بكر ابنَه عبدَالله أن يتسمَّع لهما ما يقول الناس فيهما نهارَه، ثم يأتيهما إذا أمسىٰ بما يكون في ذلك اليوم من الخبر، وأمر مولاه عامر بن فُهَيرة أن يرعىٰ غنمه نهاره، ثم يأتيهما إذا أمسىٰ في الغار، فكان عبدالله بن أبي بكر يكون في قريش نهاره معهم، يسمع ما يأتمرون به وما يقولون في شأن النبي ﷺ وأبي بكر، ثم يأتيهما إذا أمسىٰ فيخبرهما الخبر، وكان عامر بن فُهَيرة يرعىٰ في رعيان أهل مكة، فإذا أمسىٰ أراح عليهما غنم أبي بكر فاحتلبا وذبحا، فإذا غدا عبدالله بن أبي بكر من عندهما إلىٰ مكة اتَّبع عامر بن فُهَيرة أثره بالغنم يعفي عليه، وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما بالطعام إذا أمسَتْ.

وقد أمضَوا في الغارِ ثلاثَ ليالٍ كان خلالها ﷺ عينُه علىٰ حبيبه ﷺ يحوطُه ويحميه، ويتابعه؛ تحسُّبًا لكي يُؤمِّن سلامته.

ومكث النبي ﷺ وأبو بكر في الغار ثلاثَ ليال، يرعاه فيها ويتابعه ويتقدَّم لحمايته من أي خطر، وكان المشركون يبادرون باقتفاء أثر النبي ﷺ، فلما بلغوا جبل ثَوْر

اختلط عليهم، فصعِدوا الجبل فمرُّوا بالغار، فرأَوا علىٰ بابه نسجَ العنكبوت، فقالوا: لو دخل ها هنا أحدٌ لم يكن نسج العنكبوت علىٰ بابه.

الصاحب: لُقِّب به في القرآن الكريم، وذلك في قول الله تعالىٰ:

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٤٠]، وقد أجمع العلماء علىٰ أن الصاحبَ المقصود في الآية هو أبو بكر.

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني في تفسير هذه الآية: فإن المراد بصاحبه هنا أبو بكر بلا منازع.

وتلك الحمايةُ كانت فداءً بالنفس، فلما وجد أبو بكر ثقبًا بالغار وخاف أن تدخل منه زاحفة تُؤذِي رسول الله ﷺ سدَّ الثقب بقَدَمِه، وجاءتِ الحيةُ وعضَّتْه، فبدَّل بقدمه قدمه الأخرىٰ، وهذا من قبيل تقواه وحرصه علىٰ رسول الله ﷺ، فلَّله درُّك يا أبا بكر!

وألَمُ العضَّة كان شديدًا، فدمعَتْ عيناه رضي الله عنه مِن الألم دون أن يُحدِث صوتًا يُزعِجُ النبي ﷺ، وفي الوقت نفسه كان قلبه يرتجف وجدًا علىٰ رسول الله ﷺ وهذا ما أحزنه.

حنينه لابنته

١٩- وَبَكْتُمُ آهَةٌ كُبْرَىٰ عَلَىٰ ابْنَتِهِ ... أَبُو جَهْلٍ لَهُ حَدٌّ تَعَدَّاهُ

٢٠- أَطَاحَ بِقُرْطِهَا بَغْيًا لِيُفْزِعَهَا ... غَدًا نَلْقَاهُ نُبْلِيهِ بِبَلْوَاهُ

٢١- لَهَا فَضْلٌ يُقَيِّضُهُ لَهَا الْمَوْلَىٰ ... لَهَا وَصْفٌ رَسُولُ اللهِ سَمَّاهُ

تقول أسماء: لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام، فوقفوا علىٰ باب أبي بكر، فخرجتُ إليهم فقالوا:

أين أبوك يا ابنة أبي بكر؟

قلت: لا أدري أين أبي؟، فرفع أبو جهل يده وكان فاحشا خبيثًا، فلطم خدِّي لطمة طرح منها قرطي ثم انصرفوا.

فقد لطمها أبو جهل فشجَّ أذنَها، وأطاح بها وبقُرْطها؛ لكي تدلَّهم علىٰ مكان رسول الله وأبيها، غضب أبو بكر وتوعَّده في نفسه.

فأسماءُ هذه قيَّضها الله لفعل جليل وفضل عظيم، وقد لقَّبها رسول الله بلقب يظلُّ معها إلىٰ أَبَدِ الآبدِين.

فقد كانت رضي الله عنها إذا أمست تأتي بالطعام للنبيِّ ﷺ وأبيها وهما في غار ثور، فصنعت لهما سُفرةً، فاحتاجت إلىٰ ما تَشُدُّها به، فشَقَّت خِمارها نصفينِ فشدَّت بنصفه السُّفرةَ، واتَّخَذت النصف الآخَرَ مَنطِقًا لها، فلما جاءت للنبيِّ قال لها:

«أَبْدَلَكِ اللهُ بِنِطَاقِكِ هَذَا نِطَاقَيْنِ فِي الْجَنَّةِ»، فسُمِّيَت بذات النِّطاقين.

وزير محمد ﷺ

٢٢- وَزِيـرُ مُحَمَّـدٍ وَجَبَـتْ مَحَبَّتُـهُ ... فَطِيـبُ المِسْـكِ عَـنْ بُعْـدٍ سَـتَلْقَاه

٢٣-وَلَمَّـا اخْتَـارَ أَلْوِيَـةً لِحَمْـلِ الـرَّا ... يَـةِ الكُبْـرَىٰ رَسُـولُ اللهِ أَعْطَـاهُ

٢٤-وَبَشَّـرَهُ بِجَنَّـةِ رَبِّـهِ نُـزُلًا ... وَهَـلْ بَعْـدَ الجِنَـانِ تَطِيـبُ دُنْيَـاهُ؟

٢٥- وَخَيْـرُ النَّـاسِ بَعْـدَ الأَنْبِيَـا حُكْمًـا ... شَـهَادَةُ أَهْـلِ سُـنَّتِنَا لِتَقْـوَاهُ

٢٦- وَلَقَّبَـهُ بِصِـدِّيقٍ يُكَافِئُـهُ ... وَقَرَّبَـهُ بِحُـبٍّ قَـدْ تَمَنَّـاهُ

قال ابن كثير: (كان أبو بكر رجلًا تاجرًا ذا خُلُق ومعروف، وكان رجالُ قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر: لعِلْمِه وتجارته وحُسْن مجالسته)، وقد ارتحل أبو بكر للتجارة بين البلدان حتىٰ وصل بُصْرَىٰ من أرض الشام، وكان رأس ماله أربعين ألف درهم، وكان ينفق من ماله بسخاء وكرم عُرف به في الجاهلية.

شهد أبو بكر غزوة تبوك، ولما اختار الرسولُ ﷺ الأمراء والقادة وعقد لهم الألوية والرايات، أعطىٰ لواءه الأعظم لأبي بكر، وحثَّ الرسولُ الصحابةَ في غزوة تبوك علىٰ الإنفاق، فأنفق كلٌّ حسب مقدرته، وكان عثمان بن عفان أكثرَ مَن أنفَقَ في هذه الغزوة، وقد قال عمر بن الخطاب في ذلك: أمرَنا رسول الله يومًا أن نتصدَّق، فوافق ذلك مالًا عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا، فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله: «**ما أبقيتَ لأهلك؟**»، قلتُ: مثله، وأتىٰ أبو بكر رضي الله عنه بكل ما عنده، فقال له رسول الله: «**ما أبقيتَ لأهلك؟**»، قال: أبقيتُ لهم الله ورسوله، قلت: لا أسابقك إلىٰ شيءٍ أبدًا.

وفي سنة ٩هـ أرسل النبيُّ أبا بكر أميرًا علىٰ الحجِّ، فخرج أبو بكر أميرًا بركب الحجيج، كما شهد حجَّة الوداع سنة ١٠هـ.. وقد استخلَفَه النبيُّ ﷺ في آخِر حياته للصلاة بالناس في مرض موته، قائلا: «**مُرُوا أبا بكرٍ فليصلِّ بالناس**»؛ (رواه البخاري: ٦٨٣، ومسلم: ٤١٨).

العشرة المبشرون بالجنة هم عشرة من الصحابة بشرهم النبي محمد ﷺ بالجنة حسب اعتقاد أهل السنة والجماعة، وهم المذكورون في الحديث الذي رواه كل من عبد الرحمن بن عوف وسعيد بن زيد عن النبي ﷺ أنه قال: «**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة**».

وهناك عدد غيرهم من الصحابة قد بُشّر بالجنّة كخديجة بنت خويلد، وعبد الله ابن سلام، وعكاشة بن محصن، ولكن اشتهر مصطلح العشرة المبشرين بالجنّة لأنّ تبشيرهم جاء في حديث واحد. ويعتقد الشيعة الاثنا عشرية بطلان حديث العشرة المبشرين بالجنة ويعدونه من الأحاديث الموضوعة.

وقد لُقّب بالصدِّيق لكثرة تصديقه للنبيِّ -عليه الصلاة والسلام-.

وقد لقَّبه بذلك النبيُّ ﷺ؛ فقد كان يُصدِّق كلَّ ما يقوله ويفعله سيِّدنا محمد عليه السلام.. وقد ورد عن عائشة رضي الله عنها أنّ جماعةً من قُريشٍ جاؤوا إلىٰ أبي بكر وقالوا له: إنَّ النبيَّ يقول: إنه أُسري به إلىٰ السماء، وكان ردُّه عليهم أنْ سألهم إن كان النبيُّ قد قال ذلك؟

فقالوا: نعم.

فأجابهم أنه علىٰ حقٍّ، وأن كل ما يقوله الرسول صِدْقٌ.

وله الكثير من الألقاب؛ منها **العَتِيقُ، والصاحب، والأوَّاه، والأتقىٰ**.

لا يسبقه أحد في خير

٢٧- وَأَصْبَحَ صَائِمًا زُهْدًا وَمُحْتَسِبًا ... فَكَانَ عَطَاءُ حِبِّ اللهِ يُعْطَاهُ

٢٨- وَأَضْحَتْ كَفُّهُ تُعْطِي بِلَا طَلَبٍ ... إِذِ الإِحْسَانُ نَفْلًا مِنْ سَجَايَاهُ

٢٩- وَأَمْسَى سَاجِدًا يَدْعُو بِمَغْفِرَةٍ ... فَكَمْ تَلْقَاهُ دُونَ الذَّنْبِ أَوَّاهُ

٣٠- يَمُدُّ يَدَيْهِ بِالمَعْرُوفِ مُسْتَبِقًا ... وَأَسْرَعُهُمْ إِذَا الْمَكْرُوبِ نَادَاهُ

٣١- وَيَسْبِقُ مَنْ يُرِيدُ السَّبْقَ عَنْ كَرَمٍ ... فَلَمْ يَخْلُفْهُ مَعْرُوفٌ فَيُؤْتَاهُ

قال ﷺ مرَّةً لأصحابه رضي الله عنهم: «مَنْ أَصْبَحَ مِنكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟».

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا.

قَالَ: «فَمَنْ تَبِعَ مِنكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟».

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا.

قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟».

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا.

قَالَ: «فَمَنْ عَادَ مِنكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟».

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ»؛ (رواه مسلم).

هذه أربعة أمور: أصبح صائمًا، وتبع جنازةً، وأطعم مسكينًا، وعاد مريضًا، إذا اجتمعت في امرئ في يوم دخل الجنة.

قال ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ -وَلاَ يَقْبَلُ اللهُ إِلاَّ الطَّيِّبَ- وَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّىٰ تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ»؛ (متفق عليه).

والعِدل بالكسر: أي ما يعادله من غير جنسه.

والعَدل بالفتح: ما يعادله من جنسه.

ويربيها: أي ينمِّيها.

والفَلُوُّ: المُهر أول ما يولد، ومصداق ذلك في كتاب الله تعالىٰ: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ [البقرة:٢٧٦].

ومن فضل الصدقة أنها وقاية من النار: قال النبي ﷺ:

«**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**»؛ (رواه البخاري ومسلم).

وأنها تطفئ الخطيئة: قال ﷺ: «**وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ**»؛ (رواه أحمد والترمذي، وصحَّحه الألباني)، وقال ﷺ: «**كُلُّ امرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّىٰ يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ**»؛ (رواه أحمد، وصحَّحه الألباني).

الأوَّاه: لُقِّب أبو بكر بالأوَّاه، وهو لقب يدلُّ علىٰ الخشية والوجل من الله تعالىٰ.

قال إبراهيم النخعي: كان أبو بكر يسمَّىٰ بالأوَّاه؛ لرأفته ورحمته.

وله ألقاب أخرىٰ مثل: **الصِّدِّيق**: لقَّبه به النبيُّ ﷺ.

ومن ألقابه: **العتيق أيضًا**؛ لقَّبه به النبيُّ ﷺ.

ومن ألقابه: **الصاحب**؛ لُقِّب به في القرآن الكريم.

ومن ألقابه: **الأتقىٰ**؛ لُقِّب به في القرآن الكريم، وذلك في قول الله تعالىٰ: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ﴾ [الليل: ١٧]، وسبب ذلك أنَّ أبا بكر عندما كان يشتري العبيدَ المسلمين ويعتقهم.

قال له أبوه أبو قحافة: يا بني، إني أراك تعتق رقابًا ضعافًا، فلو أنَّك إذا فعلت أعتقت رجالًا جلدًا يمنعونك ويقومون دونك؟

فقال أبو بكر: يا أبت، إني إنما أريد ما أريد لله عَزَّوَجَلَّ فنزلت فيه آيات منها: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل: ١٧ - ٢١].

روي في السير عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: كنت أفتقد أبا بكر أيام خلافته ما بين فترة وأخرىٰ، فلحقته يومًا فإذا هو بظاهر المدينة -خارجها- قد خرج متسللاً، فأدركته وقد دخل بيتًا حقيرًا في ضواحي المدينة، فمكثت هناك مدة، ثم خرج وعاد إلىٰ المدينة.

فقلت: لأدخلن هذا البيت، فدخلت فإذا امرأة عجوز عمياء وحولها صبية صغار.

فقلت: يرحمك الله يا أمة الله من هذا الرجل الذي خرج منكم الآن؟

قالت: إنه ليتردّد علينا، ووالله إني لا أعرفه.

فقلت: فما يفعل؟

فقالت: إنه يأتي إلينا فيكنس دارنا، ويطبخ عشاءنا، وينظف قدورنا، ويجلب لنا الماء، ثم يذهب، فبكىٰ عمر حينذاك وقال:

الله أكبر.. والله لقد أتعبتَ من بعدك يا أبا بكر.

ظل النبي ﷺ

٣٢-وَظِلُّ مُحَمَّدٍ يَسْعَىٰ لِكَيْ يَبْقَىٰ ... قَرِيبًا حَيْثُ كَانَ الْفَضْلُ يَغْشَاهُ

٣٣-وَكَمْ حَدَثٍ مِنَ الأَحْدَاثِ شَارَكَهَا ... بِحَرْبٍ كَانَ أَوْ سِلْمٍ، بِيُمْنَاهُ

٣٤-وكَانَ يُرِيقُ دَمْعَتَه علىٰ وَلَدٍ ... ولَوْ لاقَىٰ ابْنَه في الحَرْبِ أَرْدَاهُ

٣٥-فلا يَرْضَىٰ بَدِيلًا عن مَبادِئِهِ ... ولا يَرْضَىٰ بِدِينِ اللهِ دُنْيَاهُ

٣٦-ويَشْهَدُ في الحُدَيْبِيَةِ الذي وَفَّىٰ ... ويُبْغِضُ مَنْ يَخُونَ العَهْدَ خَلَّاهُ

٣٧-وقَالَ الحَمْدُ للهِ بِرَكْعَتِهِ ... فكَانَ اللهُ مُسْتَمِعًا لِنَجْوَاهُ

٣٨- كَرِيمُ الأَصْلِ مِنْ أَشْرافِ مَكَّتِهِ ... وعُنْوانٌ لِذِي الْمَعْدُومِ أَغْنَاهُ

٣٩-طويلُ الباعِ حِينَ البأسِ مَشْمُولٌ ... بِعَطْفِ اللهِ أَبْلَاهُ وسَوَّاهُ

٤٠-له بابٌ بِمَسْجِدِهِ ومُعْتَكَفٌ ... تُسَدُّ جَمِيعُهَا إِلَّا مُصَلَّاهُ

شارك أبو بكر كثيرًا من الأحداث، سواء أكانت تلك الأحداث حربًا أم سلمًا؟ تجده فيها حاضرًا جاهزًا بكلِّ ما يحتاجه الموقف.

وشهد أبو بكر غزوة أُحُد سنة ٣هـ، ولما تفرَّق المسلمون من حول النبيِّ، وتبعثر الصحابة في أرجاء الميدان، وشاع أنَّ الرسولَ قد قُتل، شقَّ أبو بكر الصفوف، وكان أولَ مَن وصل إلىٰ الرسول محمد، وقد اجتمع إلىٰ الرسول آنذاك كلٌّ من أبي بكر، وأبي عبيدة بن الجراح، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيدالله، والزبير بن العوام، وعمر بن الخطاب، والحارث بن الصمة، وأبي دجانة، وسعد بن أبي وقاص، وغيرهم.

شارك أبو بكر في غزوة بدر سنة ٢هـ، وكانت له فيها مواقف مشهورة، فلما بلغ النبي نجاةُ القافلة وإصرارُ زعماء مكة علىٰ قتال النبي، استشار أصحابه في الأمر، فقام أبو بكر أولًا فقال وأحسن، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن، وقد ظهرت من

أبي بكر شجاعة وبسالة، وقد شارك ابنه عبدالرحمن في هذه المعركة مع المشركين، فلما أسلم قال لأبيه: لقد أهدفتَ لي (أي ظهرت أمامي) يوم بدر، فملت عنكَ ولم أقتلْكَ، فقال له أبو بكر: لو أهدفتَ لي لم أمِلْ عنكَ.

وعن أنس بن مالك أن أبا بكر حدَّثه فقال: قلت للنبي ونحن في الغار: لو أن أحدَهم نظر إلىٰ قدميه لأبصرنا تحته! فقال: «**يا أبا بكر، ما ظنُّكَ باثنينِ اللهُ ثالثُهما؟!**».

وقالت أسماء: لما خرج رسول الله وخرج أبو بكر معه، احتمل أبو بكر ماله كلَّه معه: خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف درهم، فانطلق بها معه، فدخل علينا جدي أبو قحافة وقد ذهب بَصَرُه، فقال: والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه.

قلت: كلا يا أبتِ، إنه قد ترك لنا خيرًا كثيرًا.

قالت: وأخذتُ أحجارًا فوضعتُها في كوة في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها، ثم وضعت عليها ثوبًا، ثم أخذتُ بيده فقلتُ: يا أبتِ ضَعْ يدكَ علىٰ هذا المال.

قالت: فوضع يده عليه.

فقال: لا بأس، إذا كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن، ففي هذا بلاغ لكم.

قالت: ولا والله ما ترك لنا شيئًا ولكن أردتُ أن أُسكِنَ الشيخ بذلك.

ويشهد أبو بكر صلح الحديبية، فيرحِّب بالصلح علىٰ شرط عدم الغدر، ولما نقضت قريش صلح الحديبية، وتجهَّز النبي ﷺ مع صحابته للخروج إلىٰ مكة، خرج أبو سفيان بن حرب من مكة إلىٰ الرسول فقال: يا محمد، اشْدُدِ الْعَقْد، وزِدْنا في المدَّة.

فقال النبي ﷺ: «**ولذلك قدمتَ؟ هل كان من حدث قبلكم؟**».

فقال: معاذ الله، نحن علىٰ عهدنا وصلحنا يوم الدية لا نُغيِّر ولا نُبدِّل، فخرج من عند النبي يقصد مقابلة الصحابة، فطلب من أبي بكر أن يُجدِّد العقد ويزيدهم في المدة.

فقال أبو بكر: جواري في جوار رسول الله، والله لو وجدت الذر تقاتلكم لأعنتُها عليكم.

ولما دخل النبيُّ ﷺ مكة في عام الفتح سنة ٨هـ كان أبو بكر بجانبه، وقد تمَّت النعمة علىٰ أبي بكر في ذلك الوقت بإسلام أبيه أبي قحافة.

وشهد أبو بكر غزوة حنين سنة ٨هـ، وكان قد صبرت مع النبي فئةٌ من الصحابة يتقدَّمهم أبو بكر، ثم انتصروا بعد ذلك.

البيت يشرح واقعةً وقعَتْ ونُسِبت لأبي بكر ولغير واحد آخر، وعند الله ورسوله الحقيقة؛ تقول الواقعة إنه كان الرسول ﷺ يقول: (**الله أكبر**) كلما يرفع من الركوع، وفي يوم من الأيام تأخَّر أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن الصلاة خلف رسول الله ﷺ، وحزن لذلك وذهب إلىٰ المسجد مُسرعًا فوجد أن الرسول ما زال في الركوع ولم يرفع منه، فقال: (**الحمد لله**) فنزل جبريل للرسول وهو في الركوع وقال له:

(**لقد سمِع الله لمن حمده**) يقصد أبا بكر فأصبحت «**سمِع الله لمن حمد**» بدل «**الله أكبر**» في كل صلاة إلىٰ يوم القيامة.

وإن كنا لم نعثر علىٰ ما يفيد ثبوت هذه القصة عن أبي بكر رضي الله عنه، وإنما الثابت الحمد بعد الرفع من الركوع، حديث رفاعة الزرقي: كنا نصلي وراء النبي ﷺ، فلما رفع رأسه من الركوع، وقال: «**سمِع الله لمن حمده**»، قال رجل وراءه: **ربنا لك الحمد حمدًا طيِّبًا كثيرًا مُباركًا فيه**، فلما انصرف ﷺ قال: «**مَن المتكلم آنفًا؟**» قال: أنا يا رسول الله، فقال ﷺ: «**لقد رأيتُ بضعًا وثلاثين مَلِكًا يبتدرونها أيهم يكتبها أولًا**»؛ (رواه البخاري).

كان أبو بكر رضي الله عنه من رؤساء قريش وأشرافها في الجاهلية، محببًا فيهم، مؤلفًا لهم، وكان إليه الأشناق في الجاهلية، والأشناق هي الدِّيات، وكان إذا حمل شيئًا صدَّقته قريش، وأمضوا حمالته وحمالة من قام معه.

يُقال: إن الشرف في قريش في الجاهلية كان قد انتهىٰ إلىٰ عشرة رهط من عشرة أبطن، منهم العباس بن عبدالمطلب من بني هاشم، وأبو سفيان بن حرب من بني أمية، وعثمان بن طلحة بن زمعة بن الأسود من بني أسد، وأبو بكر من بني تيم، وخالد بن الوليد من بني مخزوم، وعمر بن الخطاب من بني عدي، وصفوان بن أمية من بني جمح، واشتهر أبو بكر في الجاهلية بصفات عدة، منها العلم بالأنساب، وكان لا يعيب الأنساب، ولا يذكر المثالب بخلاف غيره... وقد رُوي أن النبي ﷺ قال: **«إن أبا بكر أعلمُ قريش بأنسابها»**.

عن عبدالله بن محمد حدثنا أبو عامر حدثنا فليح قال حدثني سالم أبو النضر عن بسر بن سعيد عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه قال خطب رسول الله ﷺ الناس وقال: **«إن الله خيَّر عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبدُ ما عند الله»**.

قال: فبكىٰ أبو بكر فعجبنا لبكائه أن يُخبِرَ رسول الله ﷺ عن عبد خُيِّر، فكان رسول الله ﷺ هو المخيَّرَ، وكان أبو بكر أعلمَنا.

فقال رسول الله ﷺ: **«إنَّ من أمَنِّ الناس عليَّ في صُحبته وماله أبا بكر، ولو كنتُ متَّخذًا خليلًا غير ربي لاتَّخذتُ أبا بكر ولكن أُخوَّة الإسلام ومودَّته، لا يبقينَّ في المسجد بابٌ إلا سُدَّ إلا باب أبي بكر»**.

بيعتـــــه

٤١- ولَمَّـــا قِيـــلَ إنَّ مُحمَّـــدًا وَفَّـــىٰ ... فلَـــمْ يَقْـــنَطْ؛ فَـــذا الْمِعْـــرَاجُ مَسْـــرَاهُ

٤٢- ويَـــرْبِطُ جَأْشَـــهُ صَـــبْرًا ومُفْتَقِـــدًا ... ويُعْلِـــنُ قَوْلَـــةً صِـــدْقًا لنـــا اللهُ

٤٣- ومَـــدَّ القَـــوْمُ أيْـــدِيَهُمْ لِبَيْعَتِـــهِ ... فقـــال القـــولَ مُلْتَزِمًـــا بِتَقْـــوَاهُ

٤٤- أطِيعُـــوني إذا كنـــتُ الْمُطِيـــعَ لِرَبِّـــ ... ـــنَا دَوْمًـــا، فَـــإنْ خَالَفْـــتُ رُؤْيـــاهُ

٤٥- فـلا سَـمْعٌ ولا عَهْـدٌ، يَشُـقُّ الصَّفْـ ... ـــفَ صِـــنْدِيدٌ يَـــرىٰ بَأْسًـــا لِمَسْـــعَاهُ

لما توفِّي ﷺ قام عمر بن الخطاب، فقال: والله ما مات رسول الله، وليبعثنه الله فليقطعنَّ أيدي رجال وأرجلهم، وجاء أبو بكر مُسرعًا فكشف عن وجهه وقبَّله، وقال: (بأبي أنت وأمِّي، طبتَ حيًّا وميتًا)، ثم خرج وخطب بالنَّاس قائلًا:

ألا من كان يعبد محمدًا، فإنَّ محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت؛ وقرأ قول الله تعالىٰ:

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

علم الصحابة بوفاة الرسول، فاجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة في اليوم نفسه، وهو يوم الاثنين (١٢ ربيع الأول سنة ١١هـ)، وتداولوا الأمر بينهم في اختيار من يلي الخلافة من بعده، والتفَّ الأنصار حول زعيم الخزرج سعد بن عبادة، ولما بلغ الخبرُ إلىٰ المهاجرين، قال المهاجرون بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلىٰ إخواننا من الأنصار، فإن لهم في هذا الحق نصيبًا، ودار جدال طويل بين الفريقين إلىٰ أن قال الأنصار: منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش.

فقال عمر رضي الله عنه لأبي بكر: (ابسط يدك)، فبايعته وبايعه المهاجرون، ثم بايعته الأنصار.

وفي رواية أخرىٰ قال عمر: يا معشر الأنصار، ألستم تعلمون أن رسول الله قد أمر أبا بكر أن يؤمَّ الناس، فأيكم تطيب نفسه أن يتقدَّم أبا بكر رضي الله عنه ؟

فقالت الأنصار: نعوذ بالله أن نتقدَّم أبا بكر.

وقال عمر لأبي بكر يومئذ: (اصعد المنبر)، فلم يزل به حتىٰ صعد المنبر فبايعه الناس عامة.

ثم تكلم أبو بكر، فحمد الله وأثنىٰ عليه بالذي هو أهله، ثم قال:

أما بعد أيها الناس، فإني قد وُلِّيتُ عليكم ولستُ بخيركم، فإن أحسنتُ فأعينوني، وإن أسأتُ فقوِّموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قويٌّ عندي حتىٰ أرجع عليه حقَّه إن شاء الله، والقويُّ فيكم ضعيفٌ عندي حتىٰ آخُذَ الحقَّ منه إن شاء الله، لا يدَع قومٌ الجهاد في سبيل الله إلا خذلهم الله بالذُّلِّ، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمَّهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعتُ الله ورسوله، فإذا عصيتُ الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، وفي هذه الحال يجب أن يتقدَّم أيُّ شجاع صنديد يرىٰ في نفسه القدرة علىٰ الأمر، قومُوا إلىٰ صلاتكم يرحمكم الله.

إنجـــــازاته

٤٦- يُحارِبُ كُلَّ مُرْتَدٍّ ولا يَطْغَىٰ ... ولا يَحْنِي جَبِينًا دُونَ مَوْلاهُ

٤٧- وفي العامَيْنِ قَدْ أبْلَىٰ لِشَأْفَتِهِمْ ... ولِلْأمْصارِ قد نَهَضَتْ رَعاياهُ

٤٨- فُتُوحاتٌ فُتُوحاتٌ بها خَيْرٌ ... وفَيْضُ اللهِ تُدْهِشُنا عَطاياهُ

٤٩- وأوَّلُ مَنْ لِوَحْيِ اللهِ جَمَّعَهُ ... لِيَحْفَظَهُ لنا مَتْنًا قَرأناهُ

٥٠- فسُبْحانَ الذي وَهَبَ الْهُدَىٰ رَجُلًا ... لِخَيْرِ الدِّينِ يُمْنَاهُ ويُسْراهُ

رغم أن مدة حكم أبي بكر كانت عامين فقط، فإنه فعل فيهما أشياء كثيرة ومهمة في الحياة الإسلامية حتىٰ اليوم، أهمُّها القضاءُ علىٰ المرتدِّين وفتح الأمصار.

فبعد وفاة النبي ﷺ ارتدَّتْ بعضُ القبائل العربية عن الإسلام، وكان المرتدون علىٰ ثلاثة أقسام:

صنف عادوا إلىٰ عبادة الأوثان.

وصنف تبعوا الذين ادَّعوا النبوَّة كمسيلمة الكذاب والأسود العنسي.

وصنف ثالث استمروا علىٰ الإسلام، ولكنهم جحدوا الزكاة، وتأوَّلوا بأنها خاصة بزمن النبي محمد ﷺ فلما تولَّىٰ أبو بكر الخلافة قام في الناس خطيبًا فقال:

والله لا أدعُ أن أقاتلَ علىٰ أمر الله حتىٰ ينجزَ الله وعده ويوفيَ لنا عهده، ويُقتل من قُتل منا شهيدًا من أهل الجنة، ويبقىٰ من بقي منها خليفته وذريته في أرضه، قضاء الله الحق، وقوله الذي لا خلف له.

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [النور: ٥٥].

وقال أيضًا: والله لأقاتلنَّ مَنْ فرَّقَ بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقًا (الأنثىٰ من ولد المعز) كانوا يؤدُّونها إلىٰ رسول الله لقاتلتُهم علىٰ منعها.

وفي رواية: والله لو منعوني عقالًا (الحبل الذي يعقل به البعير) كانوا يؤدُّونه إلىٰ رسول الله لقاتلتُهم علىٰ منعه.

قال عمر: فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر فعرَفْتُ أنه الحق.

لما انتهت حروب الردة واستقرَّت الأمور في الجزيرة العربية، بدأ أبو بكر بتوجيه الجيوش لفتح البلاد، فجيَّش لفتح العراق جيشين:

الجيش الأول بقيادة خالد بن الوليد، وكان يومئذ باليمامة، فكتب إليه يأمره بأن يغزو العراق من جنوبه الغربي، وقال له:

سِرْ إلىٰ العراق حتىٰ تدخلها وابدأ بفرج الهند (يقصد مدينة الأبلة) وأمره بأن يأتي العراق من أعاليها، وأن يتألَّف الناس ويدعوهم إلىٰ الإسلام، فإن أجابوا وإلا أخذ منهم الجزية، فإن امتنعوا عن ذلك قاتلهم، وأمره ألَّا يُكره أحدًا علىٰ المسير معه، ولا يستعين بمن ارتدَّ عن الإسلام وإن كان عاد إليه، وأمره أن يستصحب كل امرئ مرَّ به من المسلمين، وشرع أبو بكر في تجهيز السرايا والبعوث والجيوش إمدادًا لخالد.

كان تاريخ بعث خالد إلىٰ العراق في شهر رجب، وقيل: في المحرم سنة ١٢ هـ.

الجيش الثاني بقيادة عياض بن غنم، وكان بين النباج (قرية في منتصف الطريق بين مكة والبصرة) والحجاز، فكتب إليه بأن يغزو العراق من شماله الشرقي بادئًا بالمصيخ، وهي موضع علىٰ حدود الشام مما يلي العراق، وقال له: سِرْ حتىٰ المصيخ، وابدأ بها، ثم ادخل العراق من أعلاها حتىٰ تلقىٰ خالدًا.

ليس فقط محاربة المرتدِّين، وليس فقط الاهتمام بالفتوحات ونشر الدين في كثير من البلدان؛ بل أيضًا جمع القرآن في مجلد واحد، وكان ذلك من عطاء الله له، فكان أول من جمعه لنا ليسهل اليوم تناوله.

توفي ﷺ والقرآن محفوظ في الصدور، ومكتوب في الرقاع، واللخاف، والعسب والأكتاف، لكنه مفرق ولم يرتَّب في مصحف واحد علىٰ عهد النبي ﷺ.

يرجع سبب عدم جمع القرآن مرتَّبًا في مصحف واحد علىٰ عهد النبي ﷺ إلىٰ حرص النبي نفسه علىٰ عدم جمعه ترقُّبًا لنزول شيء جديد منه حتىٰ وفاته، فلو أنه رتَّبه أولًا بأول وجمعه بين دفتي مصحف واحد، لأدَّىٰ هذا إلىٰ كثرة التغيير والتبديل كلما نزلت عليه آية، وفي هذا من المشقَّة ما فيه.

وهنالك كثير من النصوص واضحة الدلالة، علىٰ حفظ القرآن الكريم في سطور الصُّحُف -وحفظه المتواتر في الصدور- في عهد النبوة، ومنها: قال تعالىٰ:

﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥ ﴾ [الفرقان: ٥].

فقد قالوا: ﴿ٱكۡتَتَبَهَا﴾ ولم يقولوا: (كتبها)؛ لأنهم يعلمون أن رسول الله أُمِّيٌّ لا يكتب؛ بل يأمر غيره بالكتابة.. ومثل قوله تعالىٰ:

﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢ ﴾ [الأعراف: ٢].

و﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ۝٨٩ ﴾ [النحل: ٨٩].

ظل القرآن الكريم علىٰ هذه الحال مُفرَّقًا غير مجموع في مصحف واحد، إلىٰ أن كانت خلافة أبي بكر، فواجهته أحداث جسيمة، وقامت حروب الردة، واستحرَّ القتل بالقُرَّاء في واقعة اليمامة التي استشهد فيها سبعون قارئًا من حُفَّاظ القرآن.

هالَ ذلك عمر بن الخطاب، وخاف أن يضيع شيء من القرآن بموت حفظته، فدخل علىٰ أبي بكر، وأشار عليه بجمع القرآن وكتابته خشية الضياع، فكَبُر عليه أن يفعل ما لم يفعله النبي، فظل عمر يراوده حتىٰ اطمأنَّ أبو بكر لهذا الأمر، ثم كلَّف أبو بكر زيدًا بن ثابت بتتبُّع الوحي وجمعه، فجمعه زيد من الرقاع والعسب واللخاف وصدور الرجال.

حرص زيد بن ثابت علىٰ التثبُّت ممَّا جمعه، ولم يكتفِ بالحفظ دون الكتابة، وحرص علىٰ المطابقة بين ما هو محفوظ ومكتوب، وعلىٰ أن الآية من المصدرين جميعًا.

فكان ذلك أول جمع للقرآن بين دفتين في مصحف واحد، واحتفظ أبو بكر بالمصحف المجموع حتىٰ وفاته، ثم أصبح عند حفصة بنت عمر.

القصيدة الثالثة

أمير المؤمنين(٣)

(٣) أبو حفص عمر بن الخطاب العدوي القرشي، المُلقب بالفاروق، ثاني الخلفاء الراشدين ومن كبار أصحاب الرسول محمد، وأحد أشهر الأشخاص والقادة في التاريخ الإسلامي ومن أكثرهم تأثيرًا ونفوذًا، ولد بعد عام الفيل، وبعد مولد الرسول محمد بثلاث عشرة سنة. وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، ومن علماء الصحابة وزهّادهم. تولّىٰ الخلافة الإسلامية بعد وفاة أبي بكر الصديق في ٢٣ أغسطس سنة ٦٣٤م، الموافق للثاني والعشرين من جمادىٰ الثانية سنة ١٣ هـ كان ابن الخطّاب قاضيًا خبيرًا واشتهر بعدله وإنصافه الناس من المظالم، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، وكان ذلك أحد أسباب تسميته بالفاروق، لتفريقه بين الحق والباطل.

مؤسس التقويم الهجري، وفي عهده بلغ الإسلام مبلغًا عظيمًا، وتوسع نطاق الدولة الإسلامية حتىٰ شمل كامل العراق ومصر وليبيا والشام وفارس وخراسان وشرق الأناضول وجنوب أرمينية وسجستان، وهو الذي أدخل القدس تحت حكم المسلمين لأول مرة، وبهذا استوعبت الدولة الإسلامية كامل أراضي الإمبراطورية الفارسية الساسانية وحوالي ثلثي أراضي الامبراطورية البيزنطية. تجلّت عبقرية عمر بن الخطاب العسكرية في حملاته المنظمة المتعددة لإخضاع الفرس، فتمكن من فتح كامل إمبراطوريتهم خلال أقل من سنتين، كما تجلّت قدرته وحنكته السياسية والإدارية عبر حفاظه علىٰ تماسك ووحدة دولة كان حجمها يتنامىٰ يومًا بعد يوم ويزداد عدد سكانها وتتنوع أعراقها.

أمه: حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر وهو قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

وهي ابنة عمّ كل من أم المؤمنين أم سلمة والصحابي خالد بن الوليد وعمرو بن هشام المعروف بلقب أبي جهل. ويجتمع نسبها مع النبي محمد في كلاب بن مرة.

وكان منزل عمر في الجاهلية في أصل الجبل الذي يقال له اليوم جبل عمر، وكان اسم الجبل في الجاهلية العاقر وبه منازل بني عدي بن كعب، نشأ في قريش وامتاز عن معظمهم بتعلم القراءة. وعمل راعيًا للإبل، وتعلم المصارعة وركوب الخيل والفروسية، والشعر. وكان يحضر أسواق العرب وسوق عكاظ وسوق مجنة وسوق ذي المجاز، فتعلم بها التجارة، التي ربح منها وأصبح من أغنياء مكة. من أشراف قريش، وإليه كانت السفارة فهو سفير قريش، فإن وقعت حرب بين قريش وغيرهم بعثوه سفيراً، وإن نافرهم منافر أو فاخرهم مفاخر بعثوه منافراً ومفاخراً.

صفات المؤمنين

١- المُؤْمِنُونَ رِجَالٌ زَانَهُمْ عُمَرُ ... نُورُ الْوُجُوهِ بِدا فَاسْتَبْشَرَ الخَبَرُ
٢- المُؤْمِنُونَ رِجَالٌ صِدْقُهُمْ وَرَعٌ ... إِذْ عَاهَدُوا رَبَّهُمْ بِالحَقِّ، مَا غَدَرُوا
٣- وَهُمْ رِجَالٌ لِصَفْوِ الْقَصْدِ تَطْلُبُهُمْ ... يَهْدُونَ لِلْحَقِّ لا تُلْهِيهُمُ الْغِيَرُ
٤- المُؤْمِنُونَ رِجَالٌ قَلْبُهُمْ قَدَرٌ ... يُخِيفُ خَصْمًا إِذَا فِي سَاحِهِ زَأَرُوا
٥- لِلْكَرِّ أَفْئِدَةٌ بِاللهِ وَاصِلَةٌ ... وَفِي الشَّدَائِدِ كَمْ صَدُّوا وَكَمْ صَبَرُوا
٦- يُجَاهِدُونَ بِعَزْمٍ كُلَّ نَائِبَةٍ ... وَيُفْسِحُونَ لِصَوْتِ الْحَقِّ يَنْتَشِرُ
٧- وَيَنْشُدُونَ سَلَامًا مَا بِهِ خَوَرٌ ... وَفِي الْمَعَارِكِ أُسْدٌ مَا لَهَا دُبُرُ
٨- وَمَنْ تَفَوَّهَ فَالأَقْوَالُ أَفْصَحُهَا ... وَطَيِّبُ الْقَوْلِ مَحْسُودٌ وَمُخْتَبَرُ

صفات المؤمنين التي يمتاز بها عمر بن الخطاب قد وصفهم الله في كتابه العزيز في عدد من السور بقوله:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ ﴾ [المؤمنون: ١ - ١١].

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ ﴾ [المؤمنون:٥]، ﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ ﴾ [المؤمنون:٦]، ﴿ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ ﴾ [المؤمنون:٧].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝١٠٧ ﴾ [الكهف:١٠٧].

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [المؤمنون:٣].

ومثل هذه الآية قوله تعالىٰ:

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القصص:٥٥].

وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴾ [الفرقان:٧٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب٧٠ - ٧١].

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم:٢١].

﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النور:٣٣].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء:٥٨].

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم:٥٤].

والأدلة الشرعية تبيِّن مراتب الصحابة -رضوان الله عليهم- ومنازلهم؛ فقد ثبت عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: كنا نخيِّر بين الناس في زمن النبيِّ ﷺ فنخيِّر أبا بكر، ثم عمرَ بنَ الخطاب، ثم عثمانَ بنَ عفَّان رضي الله عنهم. (رواه البخاريُّ ٣٦٥٥).

وعن محمدِ بنِ الحَنَفيَة -وهو ابن عليِّ بنِ أبي طالب- قال: قلت لأبي: أيُّ الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟

قال: أبو بكر.

قلت: ثم من؟

قال: ثم عمر، وخشيت أن يقول: عثمان.

فقلت: ثم أنت؟

قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين. (رواه البخاريُّ: ٣٦٧١).

وقد سبق قول النبيِّ ﷺ في عمر: «**قد كان في الأمم قبلكم محدَّثون، فإن يكن في أمتي منهم أحد فإن عمرَ بن الخطاب منهم**».

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٧/ ٤٤) عن تلقيب عمر بالفاروق: فقيل: أول من لقَّبه به النبيُّ ﷺ؛ رواه أبو جعفر بن أبي شيبة في تاريخه.

عدل عمر

٩- يَـا أَيُّهَـا العُمَـرِيُّ الحَـقُّ مُنْفَطِـرٌ ... مِـنْ بَعْـدِ عَـدْلِكَ مَقْهُـورٌ وَمُنْتَحِـرُ

١٠- مَا قَامَ عَدْلٌ يُضَاهِي حُرَّ مَجْلِسِكُمْ ... أَوْ قَـامَ رَأْسٌ لَـهُ، وَالْحَـقَّ قَـدْ بَطَـرُوا

١١- سَاوَيْتَ بِالعَدْلِ بَيْنَ الْكِفَّتَيْنِ فَلَنْ ... يُـرَىٰ لَهَـا عِـوَجٌ دَهْـرًا، أَنَعْتَبِـرُ؟!

١٢- هَـذَا الضَّـعِيفُ الَّـذِي نَاصَـرْتَهُ أَبَـدًا ... مَكَّنْتَـهُ سَـيِّدًا، حَـارَتْ بِـكَ الْفِكَـرُ

بالأبيات إشارة إلىٰ قصة عمرو بن العاص؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أتىٰ رجل من أهل مصر إلىٰ عمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه فقال:

يا أمير المؤمنين، عائذ بك من الظلم.

قال: عُذْتَ بمعاذٍ.

قال: سابقتُ ابن عمرو بن العاص فسبقتُه، فجعل يضربنىٰ بالسوط ويقول:

كيف تسبقني وأنا ابن الأكرمين؟!

فكتب عمرُ إلىٰ عمرٍو يأمره بالقدوم عليه وابنه معه، فقدما.

فقال عمر: أين المصريُّ؟ خذ السوط واضرب ابن الأكرمَيْنِ.

قال أنس: فضرب، فوالله لقد ضربه ونحن نحب ضربه، فما أقلع عنه حتىٰ تمنَّينا أنه يرفع عنه.

ثم قال عمر للمصريِّ: ضع علىٰ صلعة عمرو.

فقال: يا أمير المؤمنين إنما ابنه الذي ضربني، وقد اشتفيتُ منه.

فقال عمرُ لعمرٍو: متىٰ استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟!

قال: يا أمير المؤمنين، لم أعلم ولم يأتني.

هـذه القصـة يتـداولها النـاس بـل تـدرَّس في بعـض المنـاهج في الـدول العربيـة والإسلامية، ويذكرها الوعَّاظ في خطبهم ودروسهم، ومع ذلك هناك من يقول بعدم صحتها؛ لأنّها لم تثبت بسند صحيح، ولم تتعرَّض لها أمهات الكتب، والكتب التي ذكرتها قليلة جدًّا، وهي بدون سند صحيح؛ فالقصة مقطوعة السند والدليل.

تابع عدل عمر

١٣- وَقَـالَ قَوْلَتَـهُ وَاللَّيْـلُ رَدَّدَهَـا ... بِهَـا اسْـتَفَاقَ، وَكَـانَ الصُّـبْحُ يَـأْتَزِرُ

١٤- ما النَّاسُ مِنْ إِرْثِكُمْ، مَنْ ذَا يُوَرِّثَكُمْ ... جَعَلْتُمُـوهُمْ عَبِيـدًا؟ أَنْـتُمُ الْبَشَـرُ!!

١٥- فِي اللهِ لَا خَشْيَةٌ مِنْ لُؤم مَنْ عَزَلُوا ... كَيْـفَ الرُّكُـونُ؟ وَمُسْـتَعْلٍ ومُنْكَـدِرُ

١٦- تَقْضِي بِعَدْلٍ وَبالإِنْصَافِ مُحْتكِمًا ... إِلَـىٰ ضَـمِيرٍ، يَبِيـتُ اللَّيْـلَ يَزْدَجِـرُ

ولم يكن عدل عمر علىٰ غيره فقط؛ بل يلزم نفسه به أولاً؛ يُروىٰ أنه قام ﷺ خطيبًا فقال:

أيها الناس، اسمعوا وأطيعوا.

فقام له سلمان الفارسيُّ يقول: لا سمع لك اليوم علينا ولا طاعة، فلم يغضب عمر ﷺ، ولم يقل لسلمان: كيف تكلِّمني بهذه اللهجة وأنا الخليفة؛ وإنما سأله في هدوء راض: ولمَ؟

قال سلمان: حتىٰ تبيَّن لنا من أين لك هذا البُرد الذي ائتزرتَ به، وقد نالك بُرد واحد كبقية المسلمين، وأنت رجل طوال لا يكفيك بُرد واحد، فلم يغضب عمر مرة أخرىٰ وسلمان كاد يوجِّه إليه الاتهام باستغلال النفوذ والافتئات علىٰ أموال المسلمين، ولم يقل له: أنا وليُّ الأمر أتصرَّف في الأمر كما أشاء، وليس من حقك أن تسائلني، ولم يقل له: هذا مسجد وجب احترامه، ولم يقل له: هذه خطبة ولا يجوز أن تقاطعني؛ وإنما نادىٰ: يا عبدالله بن عمر: قال لبَّيكَ، يا أمير المؤمنين، قال: نشدتُك الله، هذا البُرد الذي ائتزرتُ به، أهو بردُك؟ قال: نعم، والتفت إلىٰ المسلمين فقال: إن أبي قد ناله بُرد واحد كما نال بقية المسلمين، وهو رجل طوال لا يكفيه برد واحد، فأعطيتُه بردي ليأتزر به.

فقال سلمان: الآن مُرْ، نسمع ونطع.

ذنب أذنبه

١٧- أَذْنَبْتَ ذَنْبًا وَلَمْ تَعْلَمْ عَوَاقِبَهُ ... تَبْكِي عَلَيْهِ أَسًى وَالقَلْبُ يَنْفَطِرُ

١٨- مَا غَابَ عَنْ قَلْبِكَ الْبَاكِي ضَحِيَّتُهُ ... مَا زِلْتَ تَذْكُرُهُ وَالقَلْبُ يَعْتَصِرُ

١٩- مِنْ حَرِّ قَلْبِكَ بَاتَ الْجُرْحُ مُعْتَمِلاً ... أَنَّى السَّبِيلُ لِمَحْوِ الذَّنْبِ يُغْتَفَرُ

٢٠- عَانَيْتَ حَتَّى عَرَفْتَ الْحَقَّ مَكْمَنَهُ ... مِنْ حَيْثُ كُنْتَ لِنُورِ اللهِ تَفْتَقِرُ

يتداول الشيعة الرافضة عن عمرَ رضي الله عنه أنه وأد ابنتَه في الجاهلية.. وعلىٰ فرض صحة وَأْدِ عمرَ لابنته، فأمرُ الجاهلية مغفور، والإسلام يَجُبُّ ما قبلَه، وإذا كان الله سبحانه وتعالى يغفر الشرك وعبادة الأوثان، الذي كان عليه كثيرٌ من الصحابة في الجاهلية، فكيف بأمر وأد البنت؟

والحقيقةُ يقولها غيرُ واحدٍ ويقع أكثرُ من دليل علىٰ أن القصة ملفَّقة، ولم يَثبُت دليل عليها في المصادر المعتبَرة، وقد أشار إليها الأستاذ عبَّاس محمود العقاد في كتابه «عبقرية عمر»:

وخلاصة القصة: أنه رضي الله عنه كان جالسًا مع بعض أصحابه؛ إذ ضحك قليلاً، ثم بكىٰ، فسأله مَن حضر، فقال: كنا في الجاهلية نصنع صنمًا من العجوة، فنعبده، ثم نأكله، وهذا سبب ضحكي، أما بكائي، فلأنه كانت لي ابنةٌ، فأردت وأدها، فأخذتها معي، وحفرتُ لها حفرة، فصارت تنفض التراب عن لِحْيَتي، فدفنتُها حيَّةً.

وقد شكَّك العقَّاد في صحة هذه القصة؛ لأن الوأد لم يكن عادةً شائعة بين العرب، وكذلك لم يَشتهِر في بني عديٍّ، ولا أسرة الخطَّاب التي عاشت منها فاطمةُ أخت عمرَ، وحفصةُ أكبر بناته، وهي التي كُنِّي أبو حفص باسمها، وقد ولدت حفصةُ قبل البَعثة بخمس سنوات فلم يئدها، فلماذا وأد الصغرىٰ المزعومة؟! لماذا انقطعت أخبارها فلم يذكرها أحد من إخوانها وأخواتها، ولا أحد من عمومتها وخالاتها؟!

قصة إسلام عمر

٢١- لَمَّـــا أَرَادَ كِتَـــابَ اللهِ يَنْظُـــرُهُ ... لَـــمْ تَخْشَـــهُ أُخْتُـــهُ بِـــاللهِ تَعْتَـــذِرُ

٢٢- هَـذَا الْكِتَـابُ عَلَـىٰ طُهْـرٍ لِتَحْمِلَـهُ ... فَـلَا مِسَـاسَ لِمَـنْ فِـي قَلْبِـهِ عَكَـرُ

٢٣- طَأْطَـأْتَ رَأْسًـا نُـزُولًا عِنْـدَ رَغْبَتِهَـا ... سَـجَّلْتَ سَـبْقًا لِمَـنْ بِالـدِّينِ قَـدْ مَكَـرُوا

٢٤- مَا كَانَ شَخْصٌ يَظُنُّ الخَيْرَ يَلْحَقُـهُ ... قَـالوا حَـرُونٌ، وَقَـدْ تَسْتَسْـلِمُ الحُمُـرُ

٢٥- سُـبْحَانَهُ رَبُّنَـا زَكَّـاهُ أَلْهَمَـهُ ... الْآنَ لَانَ الَّـذِي مَـا كَـانَ يَعْتَبِـرُ

٢٦- فَإِنَّـهُ الْحَـقُّ يَحْنِـي الْهَـامَ مَائِلَـةً ... مُـرَادُ رَبِّـكَ، لَا يَحْزُنْـكَ مَـنْ كَفَـرُوا

يقول راغب السرجاني -بتصرُّف-: أما عمرُ بنُ الخطَّاب رضي الله عنه فتاريخه مع المؤمنين كان من الصعوبة بمكان، ولأن من طَبْعِه الحَسْمَ وعدم التردُّد، فقد قرَّر أن ينتهيَ ممَّا يؤرِّقُه من هذا الدِّين، ويخلِّص مكةَ كلَّها ممَّن أَحدَث فيها تلك المشكلات، فقرَّر أن يَقتُل رسولَ الله ﷺ.

وكان قد دفعه إلىٰ أخذ هذا القرار إهانةٌ شديدة لأبي جهل في مكَّةَ علىٰ يدِ حمزةَ رضي الله عنه عمِّ رسول الله ﷺ، وأبو جهلٍ هذا خال عمرَ بنِ الخطَّاب.

خرج عمرُ بنُ الخطَّاب من بيته متوشِّحًا سيفَه قاصدًا رسولَ الله ﷺ يَبحَث عنه لقتله، وفي الطريق لَقِيَه نُعَيمُ بنُ عبد الله رضي الله عنه وكان من المسلمين الذين أَخْفَوا إسلامهم، وكان أيضًا من قبيلة عمر، من بني عديٍّ، وكان من السهل علىٰ نُعَيْم أن يقرأ الشرَّ في قسمات وملامح وجه عمرَ، فأوقفه نُعيم رضي الله عنه وقال له: أين تريد يا عمرُ؟

ولأنه صريح لا يكذب ولا ينافق ولا يُداهن؛ فليس في خُلُقه مثل هذه الصفات، ومن ناحية أخرىٰ فهو لا يعرف نبأ إسلام نُعيم، قال عمرُ في غاية الصرامة والجدِّيَّة: أريد محمدًا، هذا الصابئ، الذي فرَّق أمر قريش، وسفَّه أحلامها، وعاب دينها، وسفَّه آلهتها؛ فأقتلُه.

ما كان من نُعيم ﷺ حين سمع مقالة عمرَ إلا أن أصابه الرعب والفزع، فقد رأىٰ الخطر العظيم المحدِق برسول الله ﷺ وليس هناك وقتٌ لتنبيهه.

هنا قال نعيمٌ مهدِّدًا: واللهِ لقد غرَّتك نفسُك يا عمرُ؛ أترىٰ بني عبد مناف تاركيك تمشي علىٰ الأرض وقد قتلتَ محمدًا؟! أفلا ترجع إلىٰ أهل بيتك فتقيم أمرهم؟

وفي فزعٍ، قال عمر: أيُّ أهل بيتي؟!

ابنُ عمِّك سعيدُ بنُ زيدِ بنِ عمرٍو، وأختُك فاطمةُ بنتُ الخطَّاب، فقد والله أسلما وتابعا محمدًا علىٰ دينه؛ فعليك بهما.

جُنَّ جنون عمرَ، وقد نَسِي ما كان يفكِّر فيه، وأسرع من توِّه إلىٰ بيت أخته الذي اخترقه محمد ﷺ لا يلوي علىٰ أحد.

في تلك الأثناء كان خبَّابُ بنُ الأَرَتِّ ﷺ يجلس مع سعيدِ بنِ زيدٍ وزوجته في بيتهما يعلِّمهما القرآن الكريم، وصل عمرُ إلىٰ بيت أخته، وقبل دخوله سمع همهمة وأصواتًا غريبة، وبعنفٍ أخذ يطرُق الباب وينادي بصوته الجَهْوَريِّ: أن افتحوا.

وهنا أسرع خبابٌ ﷺ بالاختفاء، وفتح سعيدٌ الباب، ودخل عمرُ والشرر يقذف من عينيه، ودون استئذان يسأل: ما هذه الهمهمة التي سمعت؟

ثم ألقىٰ بنفسه علىٰ سعيد يبطش به، هنا تدخَّلت الزوجة تدافع عن زوجها، وفي لحظة غضب عارمة التفت عمر إلىٰ أخته، ولم يدرك نفسه إلا وهو يضربها ضربة مؤلمة علىٰ وجهها، تفجَّرت علىٰ إثرها الدماء من وجهها.

وهنا وقف سعيد بن زيد ﷺ يتحدَّىٰ عمرَ ويقول: نعم، قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله، فاصنع ما بدا لك، ثم قالت فاطمةُ: وقد كان ذلك علىٰ رغم أنفك يا عمر.

وعلىٰ شدَّة بأسه وفي تنازل كبير، يقول: أروني هذا الكتاب، فقالت: إنك نجسٌ علىٰ شركك، وإنه لا يَمَسُّه إلا الطاهر، وعلىٰ عكس ما كان يتوقَّعه بَشَرٌ، قام عمر في هدوء عجيب ليغتسل.

فقد شاء الله ﷻ الهداية لعمر، وبعد اغتساله أعطته فاطمة رضي الله عنها الصحيفة فقرأ:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه: ١ - ٨].

تزلزل عمر، وقد وجد نفسه خاشعًا متصدِّعًا من خشية الله، وكان شأن عمر الساعة قد تبدَّل، وحين قال عمر: ما أحسنَ هذا الكلامَ وأكرمَه! خرج خبَّاب رضي الله عنه من مخبئه وقال: يا عمر، والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصَّك بدعوة نبيِّه، فإني سمعته يقول:

«اللَّهُمَّ أَيِّدِ الإِسْلامَ بِأَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ».

عند ذلك قال عمر: فأين رسول الله؟

الجهر باسلامه

٢٧- وَاجَهْتَ قَوْمًا لَهُمْ جَاهٌ وَمَنْزِلَةٌ ... يَجْنُونَ شَرًّا، وَهُمْ لِلشَّرِّ قَدْ بَذَرُوا

٢٨- رَسُولُنَا يَبْتَغِي عِزًّا لِدَعْوَتِهِ ... فَكُنْتَ فَتْحًا لِدِينِ اللهِ يَزْدَهِرُ

٢٩- الأَمْرُ سِرٌّ، مَتَىٰ يُرْضِي سَجِيَّتَهُ؟! ... وَالْجَهْرُ أَوْلَىٰ لِمَنْ لِلْحَقِّ يَنْتَصِرُ

٣٠- نَادَيْتَ فِي الْخَلْقِ مَن يَخْشَىٰ مَنِيَّتَهُ ... عَلَيْهِ تَوًّا بِذَاكَ التَّلِّ يَسْتَتِرُ

٣١- فَإِنَّهُ الدِّينُ قَدْ لَازَمْتَهُ شَغَفًا ... وَأَنْتَ فِي دَرْبِهِ حَاجٌ وَمُعْتَمِرُ

٣٢- وَكَمْ سَجَدْتَ سُرُورًا شَاكِرًا أَبَدًا ... وَكَمْ نَعِمْتَ بِذَاكَ الدِّينِ تَفْتَخِرُ

٣٣- بِصُحْبَةِ الخَيْرِ فِي دُنْيَاكَ مُؤْتَنِسًا ... لِجَنَّةِ الْخُلْدِ -إِذْ تَخْطُونَهَا- زُمَرُ

يقول راغب السرجاني: رغم القسوة والغلظة فإن عمر كان يخفي وراءها رِقَّةً عَزَّ أن تجد مثلها. تحكي عن هذا زوجةُ عامرِ بنِ ربيعة رضي الله عنهما، وذلك حينما رآها عمر وهي تُعِدُّ نفسها للهجرة الأولىٰ إلىٰ الحبشة، فقال لها كلمة شعرت من خلالها برقَّة عذبة في داخله، وأحسَّت بقلبها أنه من الممكن أن يُسلِم عمر، وذلك أنه قال لها: صحبكم الله.

لم تتوانَ زوجة عامر بن ربيعة رضي الله عنهما في أن تخبر زوجها بما رأت من عمر، فردَّ عليها بقوله: أَطَمعتِ في إسلامه؟! قالت: نعم. ردَّ عليها: فلا يُسلِم الذي رأيتِ حتىٰ يُسلِم حمار الخطاب. وإذا كانت الأمور بخواتيمها.

عن ابن عمر قال: لمّا أسلم عمر بن الخطاب لم تَعلَم قريش بإسلامه، فقال: أيُّ أهل مكة أفشىٰ للحديث؟ فقالوا: جميلُ بنُ مَعْمرٍ الجُمحيّ، فخرج إليه وأنا أتبع أثره، أعقل ما أرىٰ وأسمع، فأتاه فقال: يا جميلُ، إني قد أسلمت. فقال: فوالله ما ردَّ عليه كلمة، حتىٰ قام عامدًا إلىٰ المسجد، فنادىٰ أندية قريش فقال: يا معشر قريش، إن ابن الخطاب قد صبأ. فقال عمر: كذب؛ ولكني أسلمتُ وآمنت بالله وصدَّقت رسوله. فثاوروه فقاتلهم حتىٰ ركدت الشمس علىٰ رؤوسهم، حتىٰ فتر عمر، وجلس فقال:

افعلوا ما بدا لكم، فوالله لو كنا ثلاثمائة رجل لقد تركتموها لنا أو تركناها لكم. فبينا هم كذلك قيام إذ جاء رجل عليه حلَّةُ حرير، وقميص موشَّىٰ، فقال: ما لكم؟ فقالوا: إن ابن الخطاب قد صبأ. قال: فَمَهْ، امرؤ اختار دينًا لنفسه، أتظنون أن بني عديٍّ تُسلِم إليكم صاحبهم؟! قال: فكأنما كانوا ثوبًا انكمش عنه. فقلت له بعدُ بالمدينة: يا أبتِ، من الرجلُ الذي ردَّ عنك القوم يومئذ؟ قال: ذاك العاص بن وائل.

هذا هو الفاروق عمرُ بن الخطاب يعلن إسلامه علانية أمام أئمّة الكفر وأساطين الضلالة دون جُبن أو خوف من العقاب والإيذاء الذي سوف يناله من كفرهم وعنادهم، لقد سطع نور الإسلام في قلب عمرَ وأراد لهذا الدين أن يسود، وأن يكون لصاحبه حقُّ الإعلان عن ولائه لهذا الدين، وأن تكفل له حقوق إبداء الرأي وممارسة شعائر دينه.

وكان إسلام عمر حَدَثًا بارزًا في التاريخ الإسلاميّ؛ فقد قوَّىٰ وجوده في صف المسلمين شوكتَهم، وأصبح لهم من يُدافع عنهم ويحميهم من أذىٰ من بقي علىٰ الوثنية، ويُلاحظ فرحة المسلمين بإسلام عمر في عدَّة أقوال منسوبة إلىٰ عدد من الصحابة، منها ما قاله صهيب الروميُّ: لمَّا أسلم عمر ظهر الإسلام، ودُعي إليه علانية، وجلسنا حول البيت حلقًا، وطفنا بالبيت، وانتصفنا ممن غلظ علينا، ورددنا عليه بعض ما يأتي به.

وقال عبد الله بن مسعود: ما كنا نقدر أن نصلِّيَ عند الكعبة حتىٰ أسلم عمر.

الله يؤيده

٣٤- أَتْعَبْتَ ذَا اللُّبِّ حَيْثُ الْهَمُّ يَحْمِلُهُ ... إِذْ يَنْشُدُ الْحَقَّ دَاءُ الظُّلْمِ يَسْتَعِرُ

٣٥- وَذَاعَ صِيتُكَ يَعْنِي كُلَّ مَكْرُمَةٍ ... حَتَّىٰ غَدَوتَ بِفَضْلِ اللهِ تُبْتَدَرُ

٣٦- وَاللهُ يُمْلِي عَلَيْهِ الرَّأْيَ أَيَّدَهُ ... حَتَّىٰ غَدَا يَأْمُرُ الشَّيْطَانَ يَنْفَجِرُ

٣٧- يَا أَوَّلَ القَائِلِينَ اسْتُرْنَ مُفْتَتِنًا ... يَا ثَانِيَ الرَّاشِدِينَ اؤْمُرْ سَنَخْتَمِرُ

٣٨- يَا ثَالثَ الصُّحْبَةِ المَيْمُونَةِ افْتَخَرَتْ ... بِالْوَحْيِ يَأْتِي لَهَا، وَالكُلُّ يَأْتَمِرُ

٣٩- يَا فَارِقًا لِظَلَامٍ لَسْتُ حَاسِدَةً ... خَيْرًا لِقَوْمٍ هُدُوا مِنْ حَظِّهِمْ عُمَرُ

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إن الشيطان يَفرَق من عمر»، وقال: «أرحم أمَّتي أبو بكر، وأشدُّها في دين الله عمر».

وقال معاوية بن أبي سفيان: أما أبو بكر فلم يُرد الدنيا، وأما عمر فأرادته فلم يردها، وأما نحن فتمرَّغنا فيها ظَهرًا لبطن..

وقَالَ له رَسُولُ اللهِ ﷺ كما في صحيح البخاري: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلاَّ سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ».

أخرج ابنُ مَرْدَوَيْهِ عن مجاهد قال: كان عمر يرى الرأي فينزل به القرآن.

وأخرج ابن عساكر عن عليٍّ قال: إن في القرآن لرأيًا من رأي عمر.

وأخرج عن ابن عمر مرفوعًا: ما قال الناس في شيء، وقال فيه عمر، إلا جاء القرآن بنحو ما يقول عمر.

وأخرج الشيخان عن عمر قال: وافقت ربي في ثلاث، قلتُ: يا رسول الله لو اتَّخَذنا من مقام إبراهيم مصلًّى، فنزلت: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾.

وقلت: يا رسول الله، يدخل على نسائك البَرُّ والفاجر فلو أمرتهن يحتجبن، فنزلت آية الحجاب.

واجتمع نساء النبي ﷺ في الغَيرة، فقلت: عسىٰ ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن، فنزلت كذلك.

وأخرج مسلم، عن عمر قال: وافقت ربي في ثلاث: في الحجاب، وفي أسارىٰ بدر، وفي مقام إبراهيم. ففي هذا الحديث خصلة رابعة، وفي التهذيب للنوويِّ: زاد وفي تحريم الخمر، فزاد خصلة خامسة.

وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن أنس قال: قال عمر: وافقت ربي في أربع نزلت هذه الآية: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ الآية، فلما نزلت قلت: فتبارك الله أحسن الخالقين، فنزلت: ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ فزاد في هذا الحديث خصلة سادسة.

ثم في كتاب فضائل الإمامين لأبي عبد الله الشيبانيِّ قال: وافق عمر ربَّه في واحد وعشرين موضعًا، فذكر هذه الستة وزاد سابعةً؛ قصة عبد الله ابن أُبَيٍّ، قلت: حديثها في الصحيح عنه قال: لما توفِّي عبد الله بن أُبَيٍّ دُعي رسول الله ﷺ للصلاة عليه، فقام إليه، فقمتُ حتىٰ وقفت في صدره فقلت: يا رسول الله، أَوَعلىٰ عدوِّ الله ابن أُبَيٍّ القائل يوم كذا كذا؟!

فوالله ما كان إلا يسيرًا حتىٰ نزلت: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾.

وثامنًا: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ ﴾ الآية.

وتاسعًا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ﴾. قلت: هما مع آية المائدة خصلة واحدة والثلاثة في الحديث السابق.

وعاشرًا: لمَّا أكثر رسول الله ﷺ من الاستغفار لقوم، قال عمر: سواء عليهم، فأنزل الله: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾. أخرجه الطبرانيُّ عن ابن عباس.

حادي عشر: لما استشار ﷺ الصحابة في الخروج إلىٰ بدر، أشار عمر بالخروج فنزلت: ﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ ﴾.

ثاني عشر: لما استشار الصحابة في قصة الإفك قال عمر: من زوَّجكها يا رسول الله، قال: الله، قال: أفتظنُّ أن ربك دلَّس عليك فيها؟! سبحانك هذا بهتانٌ عظيم! فنزلت كذلك.

ثالث عشر: قصته في الصيام لمَّا جامَع زوجته بعد الانتباه، وكان ذلك محرَّمًا في أول الإسلام، فنزل: ﴿ أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡ ﴾. أخرجه أحمد في مسنده.

رابع عشر: قوله تعالىٰ: ﴿ قُلۡ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبۡرِيلَ ﴾. أخرجه ابن جرير وغيره من طرق عديدة وأقرَّ بها لموافقة ما أخرجه ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ أن يهوديًّا لَقِيَ عمر فقال: إن جبريل الذي يذكره صاحبكم عدوٌّ لنا، فقال له عمر: من كان عدوًّا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدوٌّ للكافرين، فنزلت علىٰ لسان عمر.

خامس عشر: قوله تعالىٰ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ﴾. أخرج قصَّتها ابن أبي حاتم وابن مردويهِ عن أبي الأسود قال: اختصم رجلان إلىٰ النبيِّ فقضىٰ بينهما، فقال الذي قضىٰ عليه: رُدَّنا إلىٰ عمرَ بن الخطاب، فأتيا إليه، فقال الرجل: قضىٰ لي رسول الله ﷺ علىٰ هذا، فقال: رُدَّنا إلىٰ عمر، فقال: أكذاك؟ قال: نعم، فقال عمر: مكانكما حتىٰ أخرج إليكما، فخرج إليهما مشتمِلاً علىٰ سيفه فضرب الذي قال: رُدَّنا إلىٰ عمرَ فقتَله وأدبر الآخر، فقال: يا رسول الله، قَتَل عمر صاحبي، فقال: «ما كنت أظن أن يجترئ عمر علىٰ قتل مؤمن»، فأنزل الله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾. فأهدر دم الرجل وبرئ عمر من قتله.

سادس عشر: الاستئذان في الدخول، وذلك أنه دخل عليه غلامه وكان نائمًا، فقال: اللهم حرِّم الدخول، فنزلت آية الاستئذان.

سابع عشر: قوله في اليهود: إنهم قوم بُهت.

ثامن عشر: قوله تعالىٰ: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾، أخرج قصَّتها ابن عساكر في تاريخه عن جابر بن عبد الله، وهي في أسباب النزول.

تاسع عشر: رفع تلاوة (الشيخ والشيخة إذا زنيا) الآية.

عشرون: قوله يوم أحد لمَّا قال أبو سفيان: أفي القوم فلان؟ لا نُجِيبنَّه، فوافقه رسول الله ﷺ.

وقد روىٰ الترمذيُّ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:

«إِنَّ اللهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَىٰ لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ» (صحَّحه الألبانيُّ: ٢٩٠٨).

مكـــانته

٤٠- خَطِيـبُ أُمَّتِـهِ تَـزْدَادُ عُصْـبَتُهُ ... وشَـاحُهُ بَـاتِرٌ.. فِـي غِمْـدِهِ خَطَـرُ

٤١- مُصَارِعٌ، فَـارِسٌ لِلشِّـعْرِ منْتَسِبٌ ... سَـفِيرُ أُمَّتِـهِ والنَّـافِرُ الفَخِـرُ

٤٢- لَـهُ سِيَاسَـتُهُ فِـي نَشْـرِ كِلْمَتِـهِ ... يُقَـدِّمُ الخَيْـرَ مَعْلُـومٌ وَمُسْـتَتِرُ

٤٣- كَـمْ نَـامَ مُؤْتَمِنًـا فِـي ظِـلِّ وَارِفَـةٍ ... يُرِيحُـهُ حَجَـرٌ مِـنْ فَوْقِـهِ القَمَـرُ!

٤٤- جَفْـنٌ تَنَـامُ وَعَـيْنُ الْحَـقِّ سَـاهِرَةٌ ... وَلَا رِجَـالٌ لِضَـبْطِ الأَمْـنِ قَـدْ سَـهِرُوا

٤٥- نَاشَـدْتُكَ اللهَ أَنْ تَبْقَـىٰ بِنَـا أَبَـدًا ... فِـي الْهَـمِّ نَجْتَـرُّهُ فِـي السِّـلْمِ نَفْتَخِـرُ

قال د. وليد قصاب: أبدَىٰ عمر بن الخَطَّاب ﷺ اهتمامًا واضحًا بالشِّعر، وأُثِرَتْ عنه أقوال كثيرة، ومواقف متعدِّدة تتَّصل بهذا الفنِّ الأدبيِّ العريق، ونحسبه من أكثر خلفاء المسلمين وولاة أمورهم نقدًا له وآراءً فيه، وقد بَدَت أقوال هذا الخليفة العظيم ومواقفه النَّقديَّة التَّطبيق العَمَليَّ لما أرسَته أحاديث رسول الله ﷺ من أسس وقواعد للكَلِمَة وفن الشِّعر.

روي أن عمر ﷺ كانت إليه السفارة في الجاهلية، وذلك أن قريشًا كانوا إذا وقع بينهم حرب، أو بينهم وبين غيرهم، بعثوه سفيرًا، وإن نافَرَهم منافِرٌ؛ أي: خاصَمَهم أو فاخرهم مفاخِرٌ بنسَبِه وحَسَبه رضوا بعمر، وبعثوه منافرًا ومفاخرًا.

وهذا الخبر وإن ورد من طرق ضعيفة فإن احتمال تكليف قريش عمر بهذه الْمَهَمَّة العظيمة والْمُهمة أمر وارد؛ وذلك لما له من مكانة عالية ومنزلة رفيعة في قريش، وما كان لأبيه وجدِّه من مكانة تقدَّم ذكرها، ولما تميَّز به ﷺ من صفات خِلقية قويَّة وخُلُقية حميدة، وما اتَّصَف به من رجاحة العقل وصواب الرأي.

ولما جيء بالهُرْمُزان ملك خوزستان، إلىٰ عمر ﷺ، وافق ذلك غَيبتَه من منزله؛ فما زال الهُرْمُزان يقتفي أثر عمر ﷺ حتىٰ عثر عليه في بعض المساجد نائمًا، متوسِّدًا دِرَّتَه.

فلما رآه الهرمزان قال: هـذا والله المُلْك الهَنِيء؛ عـدلتَ فأمنتَ فنِمْتَ! والله إني خـدمت أربعـةً مـن ملوكنـا الأكاسـرة أصـحاب التيجـان، فمـا هِبْتُ أحـدًا مـنهم هَيْبَتي لصاحب هذه الدِّرَّة.

شدة ورعه

٤٦- قَـالُوا عَنِيـفٌ وَسَـيْفُ الْحَـقِّ بُغْيَتُـهُ ... فَقُلْـتُ مِـنْ وَجَـلٍ، مِـنْ طَبْعِـهِ الحَـذَرُ

٤٧- لَوْ دَابَةٌ بِالْفُرَاتِ الْيَوْمَ قَدْ عَثَرَتْ ... مَـنْ يَسْـأَلُونَ وَمَـنْ لِلـذَّنْبِ مُعْتَكِـرُ؟!

٤٨- خَطَّـانِ بِـالوَجْنَتَيْنِ الـدَّمْعُ شَـقَّهُمَا ... لَا جَـفَّ نَبْعُهُمَـا، يَسْـقِيهِمَا الخَـفَرُ

٤٩- طَوَيْتَ حَتَّىٰ يَجِيءَ الْمَدُّ مِنْ مُدُنٍ ... لَبَّـتْ مُرَحِّبَـةً وَالْـوُدُّ مُـدَّخَرُ

٥٠- عَلَىٰ يَدَيْكَ أَنَرْتَ الْكَوْنَ مِنْ ظُلَمٍ ... كَانَـتْ جَهَـارًا، مَحَاهَـا القَلْـبُ والنَّظَـرُ

٥١- يَبِيتُ فِي حَرِّهَا مَنْ ضَلَّ مَقْصِدَهُ ... هَـمٌّ يَزِيـدُ قَـذًى فِـي الْعَـيْنِ يَنْحَـدِرُ

جاء في الأثر عن الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ قوله: ويلك يا عمر، لو أن بغلة تعثرت في العراق لسُئل عنها عمر لِمَ لَمْ تمهد لها الطريق؟.

أين أنت الآن يا عمر الحفر والإشغالات في كل شوارعنا يتعثر فيها الدواب والبشر.

وتلك الإشغالات مفتعلة في أغلبها لغرض لا يعلمه إلا الله؛فشدته ﷺ من إحساسه بالمسؤولية وخشية الزلل.

أرأيتم غيرَه يُلزم نفسه ويحمِّلها همَّ دابة عَثَرت بالعراق وهو في المدينة المنوَّرة؟!

أرأيتم غيره يبكي من خشية الله حتىٰ يحفِر الدمع بوجنتيه خطَّين طويلين؟!

أرأيتم غيره يطوي علىٰ الجوع مع رعيَّته حتىٰ يجيء المدد فيفرح مع رعيَّته بوصولها كما حزن معهم عند جدب الحياة.

عن عائشة أن النبي ﷺ قال: «**إن الشيطان يَفرَق من عمر**».

وقال: «**أرحم أمَّتي أبو بكر، وأشدُّها في دين الله عمر**».

وقال معاوية بن أبي سفيان: أما أبو بكر فلم يُرد الدنيا، وأما عمر فأرادته فلم يردها، وأما نحن فتمرَّغنا فيها ظَهرًا لبطن.

وقَالَ له رَسُولُ اللهِ ﷺ كما في صحيح البخاري: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلاَّ سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ».

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٧/ ٤٤) عن تلقيب عمر بالفاروق: فقيل: أول من لقَّبه به النبيُّ ﷺ؛ رواه أبو جعفر بن أبي شيبة في تاريخه.

طيبة قلبه

٥٢- وَكَمْ صَبَرْتَ عَلَىٰ طِفْلٍ تُدَلِّلُهُ ... لا تَفْطِمِيهِ، لِيَبْقَىٰ وَجْهُهُ النَّضِرُ

٥٣- لَوْلا فَرَضْتَ لِهَذا الطِّفْلِ أُعْطِيَةً ... مَا شَبَّ مُعْتَدِلا.. فِي مَنْبَتٍ طَهِرُ

٥٤- فَدَلَّ هَذَا عَلَىٰ يُعْدٍ لِنَظْرَتِهِ ... وَعَمَّ عَدْلٌ يَفِي، وَالظُّلْمُ يَنْحَسِرُ

كان عبد الرحمن بن عوف يرافق عمر في تفقُّد أمر قافلة تجارية. كان ذلك آخِرَ الليل، جلسا قُرب القافلة النائمة؛ يحرسان ضيوفهما. سمعا صوت بكاء صبيٍّ.. انتظر عمر أن يكفَّ الصبيُّ عن البكاء؛ لكنه تمادىٰ.

أسرع صوبَ الصوت، قال لأمِّه: اتَّقِي الله وأحسني إلىٰ صبيِّك، ثم عاد إلىٰ مكانه، عاود الصبيُّ البكاء، هَرْوَل عمر نحوه ونادىٰ أمه: قلتُ لكِ: أحسني إلىٰ صبيِّك؛ وعاد إلىٰ مجلسه، ولكن زلزله مرّةً أخرىٰ بكاءُ الصّبيّ، فذهب إلىٰ أمه وقال لها: ويحكِ! إني لأراكِ أمَّ سوء، ما لصبيِّك، لا يقرَّ له قرار؟!

قالت وهي لا تعرف مَن تخاطب: يا عبد الله، أضجرتَني إني أحمله علىٰ الفطام فيأبىٰ!

سألها: ولِمَ تحملينه علىٰ الفطام؟

قالت: لأن عمر لا يفرض إلا للفطيم.

قال وأنفاسه تتوائب: وكَمْ له من العمر؟

قالت: بضعة أشهر.

قال: ويحك! لا تُعْجِلِيه.

قال عبدالرحمن بن عوف: صلَّىٰ بنا الفجر يومئذٍ وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء، فلما سلَّم قال: يا بؤسَ عمرَ! كم قتل من أولاد المسلمين! ثم أمر مُناديًا يُنادي في المدينة:

لا تُعْجِلوا صبيانكم علىٰ الفطام؛ فإنا نفرض من بيت المال لكل مولود في الإسلام.

ثم كتب بهذا إلىٰ جميع ولاته بالأمْصار.

ذلك أن عمر لم تغيِّرْه الولاية والرئاسة، ولم تُبْطِرْه النعمةُ، ولا استطال علىٰ الشعب بلسانه، ولا قصر في التلطُّف بالأرامل والمساكين، وإعانة الفقراء والمحتاجين، ولا حابىٰ أحدًا في الحق لمنزلته، فلم يطمع الشريف في حَيْفِه، ولم ييئس الضعيف من عدله، وسوَّىٰ نفسه وآل بيته ببقيَّة المسلمين، وكان ﷺ للأمة بمنزلة الوالد المعلِّم، يعطف ويشفق، ويؤدِّب ويشدِّد، حتىٰ إن ابن عباس يقول عنه: إنه كان مهيبًا، فهِبْتُه.

حسن تصرفه ﷺ

٥٥- غَيَّـرْتَ لِلنِّيـلِ عَـادَاتٍ مُؤَصَّـلَةً ... فَفَـاضَ مِـنْ فَـوْرِهِ يَجْـرِي بِـهِ القَـدَرُ

٥٦- أَلْقَيْـتَ فِيـهِ خِطَـابَ الْـوُدِّ مُكْـتَمِلًا ... عَلَّمْتَـهُ الْخَيْـرَ طَبْعًـا لَـيْسَ يُخْتَصَـرُ

٥٧- نَادَيْـتَ سَـارِيَةً، وَالْكُـلُّ مُنْـدَهِشٌ ... أَنِ الْـزَمِ الجَبَـلَ الْـوَاقِي سَتَنْتَصِـرُ

٥٨- وذي يَـدَاكَ وَتَـاجُ الْمُلْـكِ يَحْمِلُهَـا ... مَـنْ كَـانَ كِسْـرَىٰ، رَآهُ القَـوْمُ يَنْكَسِـرُ

٥٩- وَهَا هُـوَ الصَّـوْلَجَانُ الْكُـلُّ يَحْـذَرُهُ ... بَـيْنَ الأَصَـابِعِ مَغْلُـوبٌ وَمُنْحَسِـرُ

من القصص الشائعة أيضًا قصة عمرو بن العاص ونيل مصر العظيم.. تقول القصة أو الأسطورة - سمِّها ما شئت، فلا يوجد دخان من غير نار.

روِّينا من طريق ابن لهيعة عن قيس بن الحجَّاج عمن حدثه قال:

لما افتتحت مصر أتىٰ أهلُها عمرو بن العاص -حين دخل بؤونة من أشهر العجم- فقالوا: أيها الأمير، لنيلنا هذا سُنَّةٌ لا يجري إلا بها. قال: وما ذاك؟ قالوا: إذا كانت اثنتي عشرةَ ليلةً خلت من هذا الشهر عمدنا إلىٰ جارية بِكر، فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحليِّ والثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها في هذا النيل.

فقال لهم عمرو: إن هذا مما لا يكون في الإسلام، إن الإسلام يهدم ما قبله.

فأقاموا بؤونة وأبيب ومسرىٰ والنيل لا يجري قليلاً ولا كثيرًا، حتىٰ همُّوا بالجلاء، فكتب عمرو إلىٰ عمر بن الخطاب بذلك، فكتب إليه: إنك قد أصبت بالذي فعلت، وإني قد بعثتُ إليك بطاقة داخل كتابي، فألقها في النيل.

فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة فإذا فيها: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلىٰ نيل أهل مصر: أما بعد، فإن كنتَ تجري من قِبَلك ومن أَمْرِك فلا تَجْرِ فلا حاجة لنا فيك، وإن كنت تجري بأمر الله الواحد القهَّار، وهو الذي يُجريك، فنسأل الله تعالىٰ أن يُجريَك.

فألقىٰ البطاقة في النيل، فأصبحوا يوم السبت وقد أجرىٰ الله النيل ستةَ عَشَرَ ذراعًا في ليلة واحدة، وقطع الله تلك السنَّة عن أهل مصر إلىٰ اليوم. (البداية والنهاية: ٧/ ١١٤ - ١١٥).

ومن الطرق المشروعة: ما يَعرِفه أهلُ الصلاح عن طريق التحديث والإلهام الصحيح، كما حصل لعمرَ ﷺ وهو محدَّث هذه الأمَّة؛ فروىٰ البيهقيُّ في «دلائل النبوة» (٦/ ٣٧٠) عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ عُمَرَ بَعَثَ جَيْشًا وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا يُدْعَىٰ سَارِيَةَ، فَبَيْنَمَا عُمَرُ ﷺ يَخْطُبُ فَجَعَلَ يَصِيحُ: يَا سَارِيَ، الْجَبَلَ. فَقَدِمَ رَسُولٌ مِنَ الْجَيْشِ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَقِينَا عَدُوَّنَا فَهَزَمُونَا، فَإِذَا صَائِحٌ يَصِيحُ: يَا سَارِيَ، الْجَبَلَ، فَأَسْنَدْنَا ظُهُورَنَا إِلَىٰ الْجَبَلِ فَهَزَمَهُمُ اللهُ، فَقُلْنَا لِعُمَرَ: كُنْتَ تَصِيحُ بِذَلِكَ.

كان سارية بن زنيم الدؤليُّ الكنانيُّ أحدَ قادة جيوش المسلمين في فتوحات بلاد الفرس (سنة ٦٤٥ م/ ٢٣هـ)، وبينما كان يقاتل المشركين علىٰ أبواب نهاوند في بلاد الفرس، تكاثر عليه الأعداء.

وفي نفس اليوم، كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يخطب يوم الجمعة علىٰ منبر رسول الله ﷺ في المدينة، فإذا بعمر ﷺ ينادي بأعلىٰ صوته أثناء خطبته:

يا ساريةُ الجَبَلَ، الجَبَلَ! من استرعىٰ الذئب الغنم فقد ظلم.

وبعد انتهاء الخطبة تقدَّم الناس نحو عمر بن الخطاب ﷺ وسألوه عن هذا الكلام فقال: والله ما أَلقَيتُ له بالاً، شيءٌ أتىٰ علىٰ لساني.

ثم قالوا لأمير المؤمنين عليِّ بنِ أبي طالب ﷺ وكان حاضرًا: ما هذا الذي يقوله أمير المؤمنين؟ وأين ساريةُ منّا الآن؟

فقال: ويحكم! دعوا عمر فإنه ما دخل في أمر إلا خرج منه.

ثم ما لبث أن تبيَّنت القصة فيما بعدُ، فقد قَدِم ساريةُ علىٰ عمر في المدينة فقال:

يا أمير المؤمنين، تكاثر العدوُّ علىٰ جنود المسلمين وأصبحنا في خطر عظيم، فسمعت صوتًا ينادي: يا ساريةُ الجبلَ، الجبلَ! من استرعىٰ الذئبَ الغَنَمَ فقد ظلم.

عندئذ التجأتُ بأصحابي إلىٰ سفح جبل واتَّخذت ذِروتَه؛ دَرْءًا لنا يحمي مؤخِّرة الجيش، وواجهنا الفرس من جهة واحدة، فما كانت إلا ساعة حتىٰ فتح الله علينا وانتصرنا عليهم.

أما عن قصة سُراقةَ فهي قصة حقيقية ولها أدلَّتها حين وعد النبيُّ سراقةَ أن يُلبِسه سِوارَيْ كسرىٰ، وتحقَّق النصر عليه في عهد عمر، وبَرَّ بوعد الرسول.

فقد فُتحت فارس والمدائن في عهد عمر وغنم المسلمون كنوز كسرىٰ، أتىٰ أصحاب رسول الله ﷺ بها بين يدي عمر بن الخطاب، فأمر عمر بأن يأتوا له بسراقة وقد كان وقتها شيخًا كبيرًا قد جاوز الثمانين من العمر، وكان قد مضىٰ علىٰ وعد رسول الله له أكثر من خمسَ عشْرةَ سنةً، فألبسه سواري كسرىٰ وتاجه وقال له: ارفع يديك وقل: الحمد لله الذي سلبهما كسرىٰ بن هرمز وألبسهما سراقة الأعرابيَّ، وقد روىٰ ذلك عنه ابن أخيه عبد الرحمن بن مالك بن جعشم، وروىٰ عنه ابن عباس وجابر وسعيد بن المسيب وطاوس.

ولقد مات سراقة في خلافة عثمان سنة أربع وعشرين وقيل: بعد عثمان.

المصدر: صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة (٣٤١٩)، (كنز العمال ٣٥٧٥٢).

فتوحاته وانجازاته

٦٠- وَسَّعْتَ فِي دَوْلَةِ الإِسْلَامِ رُقْعَتَهَا تَجْرِي الخُيُولُ بِهَا مَا أَمْكَنَ السَّفَرُ

٦١- أَسَّسْتَ لِلنَّاسِ تَقْوِيمًا لِيَنْضَبِطُوا وَصَارَ ذَا وَاقِعًا بِالجُهْدِ يُبْتَكَرُ

٦٢- وَذِي الدَّوَاوِينُ، فِي عَهْدٍ لكمْ بُدِئَتْ وَمَبْدَأٌ صُنْتَهُ لِلْعَدْلِ تَحْتَكِرُ

العراق: خاض المسلمون معاركَ طاحنةً وضارية؛ مثل القادسية، والحيرة، ونهرسير، وساباط، ومدائن (كسرىٰ، كورة الفرات، دجلة، الأبلة، البصرة، الأهواز، فارس، نهاوند، همذان، قومس، خراسان، اصطخر، أصبهان، السوس، ومرو، نيسابور، جرجان، أذربيجان)، لما أعقبه من سقوط للإمبراطورية الفارسية؛ مما جعل المجوس يحقدون علىٰ عمر حقدًا أعمىٰ لما فعله بممالكهم وعروشهم.

الشام: فتحت دمشق، بيت المقدس، مصر، ليبيا، النوبة، الشام: بَعْلَبَكَّ، حمص، قنسرين، حلب، أنطاكية، وفتح الجزيرة، وحرَّان والرُّها والرقة، ونصيبين، ورأس عين، وشمشاط، وعين وردة، وديار بكر، وديار ربيعة، وبلاد الموصل، وأرمينية، وزالت سيطرة الروم.

لم يكن حكمه قوة وبطشًا وقصاصًا فقط؛ ولكن كان بناء وترتيبًا؛

فالتاريخ الهجري من وضعِه.

الخراج علىٰ الأراضي المفتوحة من ترتيبِه.

بيت مال المسلمين من إنشائه.

الدواوين: فقد أدرك سيدنا عمر أن الدولة الإسلامية المتَّسِعة باستمرار تحتاج إلىٰ تنظيم، فأنشأ الدواوين التي تشبه الوزارات في عصرنا الحاضر، ومن بين تلك الدواوين:

ديوان الجند، وكان يهتمُّ بشؤون الجند ورواتبهم.

ديوان الخراج الذي كان ينظّم جمع الأموال من أصحاب الأراضي.

ديوان العطاء الذي كان يهتمُّ بشؤون توزيع الأموال إلىٰ المستحقِّين من الناس.

القضاء فقد عيَّن القضاة وَفْقَ شروط، وأجرىٰ لهم رواتبَ تكفيهم، ومنعهم من التجارة الخاصة حتىٰ لا ينشغلوا، وعمل علىٰ استقلال القضاء بعد أن كان الوالي هو القاضيَ، وفصل بين السلطة التنفيذية ممثَّلة في الوالي، والسلطة القضائية ممثَّلة في القاضي.

ووضع سيدنا عمر في رسالته إلىٰ أبي موسىٰ الأشعريِّ أسس القضاء السليمة ومبادءه، وهي:

- **المساواة بين الناس.**
- **والابتعاد عن الهوىٰ.**
- **وتطبيق قاعدة البيِّنة علىٰ من ادَّعىٰ واليَمين علىٰ من أنكر.**

تابع فتوحاته وانجازاته

٦٣- وَالْقُدْسُ أَدْخَلْتَهَا فِي حُكْمِنَا أَبَدًا ... فَاسْتَشْعَرَ الخَيْرَ مَنْ قَدْ سَاءَهُ الضَّجَرُ

٦٤- فَرَامَ عَدْلَكَ ذَا، مِنْ حُسْنِ سِيرَتِهِ ... لِظَاهِرٍ طَيِّبٍ، مَكْنُونُهُ عَطِرُ

٦٥- رُهْبَانُهُ نَاظِرُونَ النُّورَ فِي شَغَفٍ ... مِفْتَاحُهُ طَيِّعٌ وَالأَمْرُ يَنْتَظِرُ

٦٦- هُنَاكَ مَسْجِدُهُ والنُّورُ يَعْمُرُهُ ... أَمَّنْتَهُمْ دِينَهُمْ.. بالحُبِّ يَعْتَمِرُ

٦٧- أَوْقَفْتَ زَحْفَ الأُلَىٰ سَامُوا بِغِلْظَتِهِمْ ... شَعْبًا كَرِيمًا، يُرِيدُ الظُّلْمَ يَنْدَحِرُ

ولا ننسىٰ اللحظة التاريخية، الجليلة، والذهبية، تلك اللحظة التي تسلَّم بها أميرُ المؤمنين، خليفة المسلمين، عمر بن الخطاب ﷺ، مفاتيحَ بيت المقدس.

هذه هي جيوش المسلمين، تقتحم معاقل الفرس والروم وتدكُّها، ولم يبقَ غير القدس هدفًا، لكن نصارىٰ القدس، لم يحبِّذوا فكرة دخول المسلمين إلىٰ الأرض المقدَّسة بسيوفهم، وتسيل الدماء هناك، فأرسلوا للخليفة العادل، يطلبون منه المجيء لديارهم؛ ليسلِّموها له، ويسلِّموه مفاتيحها.

وهنا تبدأ حكاية ذلك الفتح التاريخيُّ، لم يمشِ عمرُ بن الخطاب للقدس بِخَيْل قويَّة مطهمة، ولا بجيوش جرّارة، ولا بعظمة وأبهة غير عَظَمة الإيمان في قلبه، مشىٰ إليها بناقة وخادم معه، وزاده للطريق الماء والخبز والتمر.

كان عمر ﷺ يَركَب ناقته ساعة، ويمشي خادمه، ثم يَنزل ليركب خادمُه ساعة، ويمشي هو، ثم يمشي الاثنان ليريحا الناقة، مسافة (٢٤٠٠ ألفين وأربعمائة كيلومتر)، في لهيب الصحراء، حتىٰ وصلا قريبًا من الجيش المحاصِر للقدس بقيادة أبي عبيدة بن الجرَّاح، وبينهما منخفض مليء بالماء والطين، وكان الخادم راكبًا، وعمر ماشيًا بيده مِقود الناقة، لم يأمر عمر خادمه أن يتنحَّىٰ ليركب الناقة ويجتاز الوحل أمامه، وكان الخادم يريد أن ينزل ويركب أمير المؤمنين إلا أن الخليفة العادل أبىٰ ذلك كله، خلع أمير المؤمنين نَعْلَيه، ووضعهما علىٰ عاتقه، شمّر ثيابه إلىٰ ما فوق

ركبتيه وخاض الوحل، حتىٰ يجتاز المنخفض من جهة قادة جيوش المسلمين، فتمرَّغت ساقاه بالوحل، وعندما علمت جيوش المسلمين بمقدم أمير المؤمنين، هبَّ قائدها أبو عبيدة مع قُوَّاده الأربعة ليستقبلوه استقبالا يليق بمقام خليفة المسلمين، حين شاهد أبو عبيدة ما ناب ساقي أمير المؤمنين من الوحل، قال له: يا أمير المؤمنين لو أمرت بركوب، فإنهم ينظرون إلينا.

غضب عمر بعد مقولة أبي عبيدة هذه غضبته التاريخية الشهيرة، وصاح بوجه هذا القائد الذي هزم الدولة البيزنطية، وأحد العشرة المبشَّرين بالجنة، قائلاً مقولته التاريخية الشهيرة:

والله لو غيرُك قالها يا أبا عبيدة لجعلتُه عِبرةً للناس، لقد كنا أذلَّةً فأعزَّنا الله بالإسلام، فإذا ابتغينا عزًّا بغير الإسلام أذلَّنا الله.

لم يمكث عمر الوقتَ الطويل عند أبي عبيدة، فالوقت غالٍ وثمين، وفتحُ القدس قاب قوسين أو أدنىٰ، بل واصل الركبُ المسير باتجاه القدس، وكان عمر ﷺ راكبًا، وخادمه ماشيًا، يقرآن سورة يس، وانتهت المدة التي يستريح بها أمير المؤمنين فوق الناقة، ويجب أن يستريح خادمه، فنزل عمر عن الناقة ليمشي، وركب خادمه، وأخذ عمر بزمام الناقة، ورجلاه لا تزالان ممرَّغتين بالوحل.

وصل الركب الفاتح، إلىٰ باب دمشق، أحد أسوار القدس، والخليفة يمشي يقود الناقة، وخادمه راكب، وحشود الروم من عسكريين ومدنيين متجمهرين عند الأسوار، يشاهدون مذهولين مصعوقين غير مصدِّقين، لأغرب مشهد تاريخيٍّ حضاريٍّ لا يحلمون برؤيته، وكان هناك فنانون ورسَّامون فرسم أحدهم صورة له تحدَّثت عنها بعض الكتب العربية فجاء فيها: كتاب يونانيٌّ مخطوط في دير المصابة، يذكر حادثة مجيء الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ يتسلم بيت المقدس، ومع النص رسم يمثِّل أمير المؤمنين عمر ﷺ حين دخوله القدس، وقد رسموه في ثياب أهل الجزيرة العربية، ملتحيًا داخلاً من باب دمشق، باب العمود، ذا مهابة ووقار، ماشيًا

علىٰ قدميه في تواضع المخلصين الأبرار، آخذًا مقود الراحلة بيسراه، وإلىٰ أعلىٰ الرسم غلام أجرد أسود، مستقرًّا فوق رحلها، رافعًا في وجه القوم عصاه، مستنكرًا سجودهم لمولاه، صائحًا فيهم: ويحكم! ارفعوا رؤوسكم، فلا ينبغي السجود إلا لله.

حتىٰ إذا استقرَّ الركب عند الباب، نزل إليه رئيس الأساقفة صفر يانوس البطريرك، وبيده مفاتيح القدس، وبعد أن سلّم عليه، قال له: إن صفات من يتسلَّم مفاتيح إيلياء (بيت المقدس) ثلاثة، وهي مكتوبة في كتابنا:

أولها: يأتي ماشيًا وخادمه راكب.

ثانيها: يأتي ورجلاه ممرَّغتان في الوحل.

وثالثها: لو سمحت أن أعدَّ الرُّقَع التي في ثوبك.

فعدَّها، فإذا هي سبعَ عشْرةَ رُقعةً! فقال: وهذه هي الصفة الثالثة.

نعم، هذه هي أوسمة الإسلام الذهبية، حين تأكَّد البطريرك من ثبوت العلامات الثلاث سلّم أمير المؤمنين مفاتيح القدس، واتجه إلىٰ زاوية يبكي، فأتاه عمر رضي الله عنه يسلِّيه ويعزِّيه، بسماحة القائد المنتصر، تقدَّم عمر العادل من البطريرك صفر وقال له: إن الدنيا دول، وأنشد:

فيوم علينا ويوم لنا ... ويومًا نُساءُ ويومًا نُسر

فأجابه بطريرك القدس: ما حزنتُ لأنكم دخلتم دخول الفاتحين الغزاة؛ لتكون الدنيا دولاً بيننا، ونستردَّها يومًا ما، ولكنكم ملكتموها إلىٰ الأبد بعقيدة الإسلام وأخلاق الإسلام.

وبعد أن تسلَّم الفاروق مفاتيح بيت المقدس، وقَّع مع أهلها النصارىٰ الوثيقة العُمُرية:

بسم الله الرحمن الرحيم؛

هذا ما أعطىٰ عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان. أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم. ولكنائسهم.... وسقيمها وبريئها وسائر ملَّتها، أنه لا تُسكَن

كنائسهم ولا تُهدَم. ولا يُنتقَص منها ولا من حيِّزها. ولا من صُلُبهم، ولا شيء من أموالهم، ولا يُكرهون علىٰ دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود.

وعلىٰ أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن. وعليهم أن يُخرجوا منها الروم واللصوص؛ فمن خرج... فإنه آمن علىٰ نفسه وماله حتىٰ يبلغوا مأمنهم. ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما علىٰ أهل إيلياء من الجزية.

شهد علىٰ الوثيقة: خالد بن الوليد، عمرو بن العاص. كتب وحضر سنة ١٥هـ عبد الرحمن بن عوف، معاوية بن أبي سفيان، عمر بن الخطاب.

وقد نصَّت الوثيقة علىٰ أن يعامل فيها أهل إيلياء بالمساواة، بالحقوق والواجبات، من دون تمايز الفاتحين علىٰ المغلوبين، ومن دون تفضيل المسلمين علىٰ النصارىٰ في المعاملات، وسجَّل في الوثيقة أن لأهل إيلياء ما للمسلمين، وعليهم ما علىٰ المسلمين، كما اشترط أهل إيلياء النصارىٰ علىٰ خليفة المسلمين عمر رضي الله عنه أن لا يسمح ليهوديٍّ أن يسكنها معهم كما هو مبيَّن في نص الوثيقة أعلاه، فوافق علىٰ ذلك؛ لعلمه بما كان هناك من أحقاد وضغينة ومجازر فظيعة قام بها اليهود، وبما يكيد اليهود دائمًا من الدسائس، فأمر عمر بإخراجهم منها.

دخل الفاروق كنيسة القيامة، وتروي بعض كتب التاريخ أنه رأىٰ بعض آثار هيكل سليمان وما تبقَّىٰ منه وعليه التراب، فانحنىٰ إليه يمسحه بطرف ثوبه، فأقبل من ورائه الجند يزيحون عنه الغبار، حتىٰ تلألأ، ورمم عمر من الهيكل ما استطاع، والهياكل محرّمة في الإسلام، وهيكل اليهود لا يُقرُّه الإسلام ولا يعترف بقدسيته، ولكنه احترام لمشاعر أهل الكتاب، ترك الحرية التامَّة لهم بممارسة شؤونهم الدينية من غير تدخُّل في شؤونهم، ولو كانت طقوسهم مغايرةً أو مضادة لعقيدة المسلمين.

ثم جاء وقت الصلاة، وهو في كنيسة القيامة، فأعلن لمن معه أن الكنيسة مكان عبادة الله، ومسموح له أن يصلِّي فيها؛ ولكن يخاف أن يأتيَ يوم يقول فيه المسلمون:

أن عمر الفاروق صلىٰ هنا، فيقتطعون من الكنيسة مسجدًا لهم، فخرج وصلَّىٰ علىٰ بُعد (٥٠٠ خمسمائة متر) منها، حيث شيِّد مكان صلاته مسجدًا سمِّي بمسجد عمر، وهو يبعد كذلك بنفس المسافة عن الأقصىٰ الذي كان منه معراج الرسول ﷺ إلىٰ السماء.

بعد كل نصر تاريخيٍّ، يكون هناك احتفال تاريخيٌّ؛ لكن احتفال عمر والمسلمين بفتح القدس كان احتفالاً نوعيًّا متميِّزًا، كفتحهم النوعيِّ المجيد، فأمضىٰ الليل مع المسلمين بالابتهال لله والدعاء والقيام، وكان عمر رضي الله عنه إذا اعتدل من سجوده، رأوه يبكي، قالوا له: يا أمير المؤمنين، أتبكي ساعة النصر؟! قال: نعم ذكرتُ حديث رسول الله ﷺ بما معناه:

«لا الفقرَ أخشىٰ عليكم، ولكن أخشىٰ أن تُقبِل عليكم الدنيا، كما أقبلت علىٰ من كان قبلكم، فتنافسوا كما تنافسوها، فتُهلِككم كما أهلكتهم».

ولم تزَل مفاتيح كنيسة القيامة حتىٰ اليوم بأيدي إحدىٰ الأسر المسلمة العريقة، التي سلَّمها إيَّاها المسيحيون من سكان إيلياء، حين تسلَّم الفاروق القدس؛ ثقةً منهم بالفاتحين الأبرار من المسلمين.

كانت القدس مدينة مُهمةً من المقاطعة البيزنطية في السنوات السابقة للفتح الإسلاميِّ. وفي (ستمائة وأربعة عشر ٦١٤م)، غزا الساسانيون تحت قيادة شهرباز المدينة أثناء الحروب الساسانية البيزنطية، وقام الفرس بنهب المدينة. ويقال: إنهم ذبحوا (تسعين ألفًا ٩٠٠٠٠) ممن يتبعون المسيحية. وكان يُعتقَد أن اليهود، الذين تعرَّضوا للاضطهاد في الحكم الرومانيِّ الذي يُسيطر عليهم، قاموا بمساعدة الفُرس. وكان الصليب الحقيقيُّ أُسِر واقتيد إلىٰ المدائن وتَمَّ استرجاعه فيما بعدُ من قِبَل الإمبراطور هرقل بعد أن انتصر علىٰ الفُرس.

حال العروبة من بعده

٦٨- حَالُ العُرُوبَةِ أَضْحَىٰ آسِفًا حَرِجًا ... أَوَّاهُ يَا عُمَرٌ زَادَتْ لَنَا الحُفَرُ

٦٩- بِالشَّامِ قَصْفٌ عَمِيٌّ مِنْ جَحَافِلِهِمْ ... النَّارُ تُحْرِقُهَا قَد يَنْطِقُ الْحَجَرُ

٧٠- أَطْفَالُهَا تَشْتَكِي للهِ مُحْرِقَهَا ... كَأَنَّهُمْ لُعَبٌ أَجْسَادُهَا وَبَرُ

٧١- قَلْبُ الْعِرَاقِ عَلَيه اللَّوْمُ مِنْ فِئَةٍ ... مُقَسَّمٌ وَعَلَىٰ حَرْفٍ سَيَنْهَمِرُ

٧٢- أَيَّامُهُمْ قَيْظُهَا لَفْحٌ وَمَوْجِدَةٌ ... أَعْدَاؤُهَا كُثُرٌ بِحَرْبِهَا افْتَخَرُوا

٧٣- الأَهْلُ فِي يَمَنٍ سَالَتْ دِمَاؤُهُمُ ... مِنْ حَيْثُ لَمْ يَعْلَمُوا مَاذَا هُوَ الخَبَرُ؟

٧٤- لَا ذَا سَعِيدٌ كَمَا كَانَتْ شَوَاهِدُهُ ... وَالْحِقْدُ أَتْعَسَهُ وَالظُّلْمُ والكِبَرُ

٧٥- وَلِيبِيَا خَصْمُهَا قَدْ قَضَّ مَضْجَعَهَا ... وَحْشٌ يُنَاصِبُهَا فِي ثَوْبِهِ بَشَرُ

٧٦- خَضْرَاءَ كَانَتْ، أَلَدُّ الخَصْمِ قَلْقَلَهَا ... أَسْعِدْ بِهِ، تُونُسُ الخَضْرَاءُ تَضَّجِرُ

٧٧- وَمِصْرُ مَا خَطْبُهَا لِلحَتْفِ سَائِرَةٌ ... تُلاكُ مِنْ قَلْبِهَا، مِنْ خَلْفِهَا شَرَرُ

٧٨- كَانَتْ مِثَالًا يُرَىٰ وَالطُّهْرُ ثَوْرَتُهَا ... انْقَضَّ مِنْ فَوْقِهَا حِقْدٌ بِهِ غَدَرُوا

٧٩- وَالْقُدْسُ حَيَّرَهَا خِذْلَانُ إِخْوَتِهَا ... بَاتَتْ مُؤَرَّقَةً أَعْدَاؤُهَا كُثُرُ

٨٠- صُرَاخُهَا طَرَبٌ فِي أُذْنِ إِخْوَتِهَا ... وَحُزْنُهَا شَدْوُهُم، قَوْسٌ لَهُ وَتَرُ

الواقع الحزين الذي شرحته الأبيات يعبر عن نفسه فهو مقارنة عن حال كان يسود فيه الحق والعدل في عهد أمير زاهد، بحال يسود فيه الظلم وتزداد به العداوات بين الإخوة لصالح العدو الذي أصبح صديقا.

هل مات عمر؟

٨١- وَأَنْتَ يَا نَاصِرَ، العَدْلِ الَّذِي كَرِهُوا ... قَوَّمْتَـهُ دَهَـرًا لِلْقَصْـدِ تَصْـطَبِرُ

٨٢- يَـا دِرَّةَ الْعُمَـرِيِّ الْعَـوْدُ نَحْمَـدُهُ ... طَاحَـتْ عُـرُوشٌ بِهَـا لَـمَّا بِهَـا يَشِـرُ

٨٣- قَدْ بَدَّلُوكِ قَذًى فِي الْعَيْنِ يُمْرِضُهَا ... يُلَوِّحُـونَ بِشَـرٍّ نَـابُهُمْ كَشِـرُ

٨٤- وَمِـثْلُهُمْ عَابِـثٌ فِـي كُـلِّ نَاحِيَـةٍ ... وَظَـالِمٌ دَائِمًـا نَـابٌ لَـهُ، قَـذِرُ

٨٥- ذَا بَتْرُهَا، وَرُؤُوسُ الْقَوْمِ قَدْ يَنَعَتْ ... نِيـرَانُهَمْ لَـمْ تَعُـدْ تُبْقِـي وَلا تَـذَرُ

٨٦- وَنَحْـنُ نَبْغِـي فَلَاحًـا ضَـاعَ قَائِـدُهُ ... وَمَـنْ بِـلَا قَائِـدٍ، يَـا حَـرُّ مَـا زَفَـرُوا

٨٧- اليَـوْمَ قَـدْ قَطَّعُـوا أَرْحَامَنَـا نُتَفًـا ... اليَوْمَ ضَاعَ الْحِمَىٰ؟! هل مِتَّ يَا عُمَرُ؟!

من الأمور التي اشتُهر بها الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه أول من حمل الدِّرَّة -بِكَسْرِ الدَّالِ الْمُهْمَلَةِ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ- وهي: عبارة عن سوط صغير، كان يستخدمها في تأديب المخطئين والمنحرفين من رعيَّته.

ومن الطرائف التي ذكرها العلامة الدَّمِيرِيُّ عن بعض شيوخه: أَنَّ تلك الدِّرَّة كَانَتْ مِنْ نَعْلِ رَسُولِ الله ﷺ، وَأَنَّهُ مَا ضُرِبَ بِهَا أَحَدٌ عَلَىٰ ذَنْبٍ وَعَادَ إِلَيْهِ!

فقد استمسك عمر رضي الله عنه بإقامة الحق وبسط العدل ومنع الجَور والميل، والحرص على الاستهداء بتعاليم القرآن العظيم، والتطبيق العمليِّ لهذه العدالة دون أدنىٰ تأثُّر بالمشاعر الشخصية..

يعني: إذا قمتم بالشهادة لإنسان أو عليه، فقولوا فيها بالعدل، ولو كانت شهادتكم علىٰ أنفسكم وآبائكم وأمهاتكم وأقربائكم، ولا يحملنَّكم غِنَىٰ من شهدتم له أو فقره أو قرابته ورَحِمُه منكم أو بُغض من تشهدون له أو عليه، علىٰ الشهادة له أو عليه بالزُّور، ولا علىٰ ترك الشهادة له أو عليه بالحق.

وعلىٰ هذا استقامت سيرة عمر الذي فاق الناس بإقامة العدل والصرامة في أمر الله من غير أن يخاف في الله لومة لائم، واستحقَّ لقب الفاروق الذي فرَّق الله به بين الحق والباطل، وجعل الله الحقَّ علىٰ لسانه وقلبه، فلم يُصِبْ بها مظلومًا، فحقَّقت علىٰ صغرها وضعفها من الأمْن والهيبة ما لم تصنعه السيوف القاطعة ولا الأسواط اللاهبة..

حتىٰ قال إمام التابعين عامر الشَّعْبِيُّ: كَانَتْ دِرَّةُ عُمَرَ أَهْيَبُ مِنْ سَيْفِ الْحَجَّاجِ.

وحين رأىٰ انحرافًا في الفَهم لدىٰ البعض، كانت دِرَّتُه حاضرةً للتقويم والتصحيح، فقد رأىٰ قومًا قابعين في ركن المسجد بعد صلاة الجمعة، فسألهم: من أنتم؟

قالوا: نحن المتوكلون علىٰ الله، فعلاهم بِدِرَّتِهِ ونَهَرهم وقال:

لا يَقْعُدْ أحدُكم عن طَلَبِ الرِّزق ويقول: (اللهم ارزُقْني، وقد عَلِم أن السَّماءَ لا تُمْطِرُ ذَهَبًا ولا فِضة؛ وإنّ الله تعالىٰ إنما يَرْزق الناسَ بعضهم من بعض)، وتلا قولَ الله -جلّ وعلا-:

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾.

وحين رأىٰ رجلاً متماوتًا في إظهار النسك والتخشُّع الزائف، علاه بالدِّرَّة وقال:

لا تُمِتْ علينا ديننا!

فليس في الإسلام تماوت ولا ضعف؛ بل قوة وعزَّة، وليس فيه طأطأة ولا مسكنة؛ بل فيه إخبات وتواضع مع قوة إيمان وعزة.

وَحين رأىٰ نائحة تمتهن النياحة بالأجرة أرسل دِرَّته تأديبًا ووعظًا، فقد حَكَىٰ الأَوْزَاعِيُّ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ سَمِعَ صَوْتَ بُكَاءٍ، فَدَخَلَ وَمَعَهُ غَيْرُهُ، فَمَالَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا حَتَّىٰ بَلَغَ النَّائِحَةَ، فَضَرَبَهَا حَتَّىٰ سَقَطَ خِمَارُهَا.

فَقَالَ: اضْرِبْ فَإِنَّهَا نَائِحَةٌ وَلا حُرْمَةَ لَهَا، إِنَّهَا لا تَبْكِي لِشَجْوِكُمْ، إِنَّهَا تُهْرِيقُ دُمُوعَهَا عَلَىٰ أَخْذِ دَرَاهِمِكُمْ، وَإِنَّهَا تُؤْذِي مَوْتَاكُمْ فِي قُبُورِهِمْ وَأَحْيَاءَكُمْ فِي دُورِهِمْ، إِنَّهَا تَنْهَىٰ عَنْ الصَّبْرِ وَقَدْ أَمَرَ الله بِهِ، وَتَأْمُرُ بِالْجَزَعِ وَقَدْ نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ.

نتمنَّىٰ اليوم دِرَّةَ عمر التي كانت أَهيبَ من سيف الحجَّاج.

وكم قوَّمت معوجًّا وأنكرت منكرًا، فقد بدَّلوا تلك الدِّرَّة بنيرانٍ وحروب لا تُبقي ولا تذر، وسيوفٍ يقطعون بها رؤوس مَن لم يَسِرْ علىٰ هواهم.

فأين منا عمر اليوم وقد تكالبت علينا الأمم والسُّوقة والغوغاء؟!

فما لنا ضاعت مكارمنا ومحارمنا؟!

هل متَّ يا عمر فانفرط عِقدُنا؟!

المـــؤلفة

نادية كيلاني:

- عضو اتحاد كتاب مصر.
- عضو رابطة الأدب الإسلامي.
- عضو نقابة الصحفيين.
- عضو مجلس إدارة نادي القصة سابقًا.
- عضو مجلس إدارة نادي الأدب بثقافة الجيزة سابقًا.
- عضو جمعية الأدباء.
- معتمدة مؤلفة دراما ومتحدثة بالإذاعة المصرية.

المؤهل:

- ليسانس لغة عربية وعلوم إسلامية (كلية دار العلوم).

العمل:

- صحفية بدار الهلال/ وموقع المشهد الإلكتروني.

الإصدارات:

القصة:

(حب لم يعرفه البشر) -رواية- المؤلفة ١٩٨٧.

(اتهام) ٣٣ قصة - الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٧.

(إحراج) ٢٢ قصة - سلسلة الكتاب الفضي بنادي القصة ٢٠٠١.

(إلكترومانسي) ١٥ قصة من وحي النت ٢٠١٥.

(عيني عينك) ١٨ قصة المؤلفة ٢٠١٦.

(عمتي.. معزوفة أبدية) ١١ قصة - مكتبة جزيرة الورد للطبع والنشر ٢٠١٦.

(أشجان) - رواية.. دار الصفا - ٢٠١٧.

(إبليس في أجازة -مسرحية-) (نشر إلكتروني) دارالصداقة للثقافة والنشر- ٢٠١٠.

http://www.alsdaqa.com/vb/showthread.php?t=٣٦٧٠٩

الشعر:

(بين الغيوم والقمر) ديوان- مكتبة الآداب ٢٠١١.

(طفولة المطر) ديوان - مكتبة جزيرة الورد ٢٠١٧ .

(محمد وصاحباه) سيرة الرسول وصاحبيه شعرًا ونثرًا.

كتب أخرى:

(الأبراج) بحث في علم الفلك، مركز الراية للنشر والإعلام ١٩٩٦.

(أيام مع يحيي حقي) سيرة ذاتية غيرية- المؤلفة ٢٠٠٥.

(الحجاب رؤية إسلامية دائمة): ردًّا علىٰ كتاب (الحجاب رؤية عصرية) دار إسلام شمس للنشر ٢٠٠٨.

(احترم نفسك) دار الصفا للنشر والتوزيع ٢٠١٥.

وللأطفال:

(الأستاذ فوازيرو: اسمك معلومة وفزورة) - الهيئة العامة للكتاب من بداية من ٢٠٠٤ ومستمرة حتىٰ الآن.. صدر (تسع وثلاثون اسما في ثلاثة عشر جزءًا) تعد موسوعة في معنىٰ الأسماء في اللغة والعلم والتاريخ والصناعة والتجارة وتداعي معانيها.

(مغامرات ندي) ٩ قصص -عن سلسلة الأولاد والبنات- دار الهلال ٢٠١٣.

(جولة مع عروس النيل: عشرة أجزاء) -سلسلة الأولاد والبنات- دار الهلال ٢٠١٥.

(مشاكس والشهور الميلادية: ١٢ جزءًا) دار الصفا ٢٠١٧.

تحت الطبع:

(أمم أمثالكم) مجموعة علىٰ لسان الحيوان والطير.

(ولحم طير مما يشتهون) قصص متنوعة.

(سلسلة فضائل الشهور العربية: ١٢ جزءًا).

وعدد من أغاني الأطفال.

دراسات إسلامية:

(عجائب سورة البقرة) - (عجائب سورة النور) - (عجائب سورة العنكبوت).

(الإمام مالك بن أنس) - (الإمام أبو حنيفة النعمان) - (الإمام أحمد بن حنبل).

(الإيتيكيت في الاسلام) - (حقائق مذهلة في جسم الانسان) - (موسوعة الدعاء المستجاب) كلها تصدر عن مركز الراية للنشر والإعلام.

أعمال إذاعية:

سهرات درامية بعنوان:

(أمي ولكن) - البرنامج العام.

(السلطان والراعية) - صوت العرب.

(ابنة المليونير) البرنامج العام.

(عاشت الأسامي) برنامج رمضاني ثلاثون حلقة - البرنامج العام.

قرئ الكثير من القصص بالبرنامج الثقافي، وقصائد بالبرنامج العام.

دراسات عن المؤلفة:

(هؤلاء كتبوا للأطفال) إعداد «محمود قاسم» المجلس الأعلىٰ للثقافة - المركز القومي لثقافة الطفل - ١٩٩٩).

(سيرة أدبية علىٰ أريج صدانا) - شبكة صدانا الثقافية - الجزء الأول.

كتابات نقدية:

(هن في قلب مصر) «فاطمة الزهراء فلا» مكتبة جزيرة الورد. ملامح بعض الشخصيات المعتبرة.

(القصة القصيرة المعاصرة ٢٠٠١) «دكتور صابر عبد الدايم» دراسة لقصة إحراج.

(اتجاهات جديدة في القصة المعاصرة) أبحاث مؤتمر القصة -اتحاد الكتاب يناير - ٢٠٠٨.

(هموم القصة القصيرة ٢٠٠٨) «دكتور جمال عبد الناصر» كتابات الاتحاد.

(القصة امرأة ٢٠١٠) «محمد محمود عبد الرازق» الهيئة العامة لقصور الثقافة.

نوقشت الأعمال في المحافل الأدبية والإذاعة والتليفزيون.

ترجمة معجم البابطين للشعر - الطبعة الثالثة ٢٠١٣.

- ترشح الكتب في القائمة الببليوجرافية المعيارية للكتب المختارة لمكتبات المدارس منذ ديسمبر ٢٠٠٥ وحتى الآن.

nadiakelany@windowslive.com

http://nadiakelany٢٠١٢.blogspot.com

فهرس

مقدمة ٥
القصيدة الأولىٰ ٩
صلوا عليه وسلموا ١٠
المـــــطلع ١١
وصف صورته كما وصفته أم معبد ١٤
تابع وصف صورته كما وصفه الآخرون ١٧
تابع وصف صورته ٢٠
تابع وصف صورته ٢٢
دليل النبوة ٢٤
اعتذار عن التقصير ٢٥
وعن صفاته الخُلقية ٢٦
تابع صفاته الخُلقية ٢٨
تابع صفاته الخُلقية ٢٩
شق الصدر ٣١
معجزات حدثت يوم مولده ٣٣
نشـــأته ﷺ ٣٧
السيدة خديجة ٣٩

معجزات له في حياته ٤١
الإسراء والمعراج ٤٦
الهجـــــرة ٤٩
السيدة عائش ٥٢
فتح مكة ٥٦
رحيلـــــه ﷺ ٥٨
أمنيـــــات ٦٠
القصيدة الثانية ٦١
وثاني اثنين ٦٢
الصديق ٦٣
يعتق العبيد ٦٥
في غار ثور ٦٨
حنينه لابنته ٧١
وزير محمد ﷺ ٧٢
لا يسبقه أحد في خير ٧٤
ظل النبي ﷺ ٧٧
بيعتـــــه ٨١
إنجـــــازاته ٨٣
القصيدة الثالثة ٨٧

أمير المؤمنين ٨٨
صفات المؤمنين ٩٠
عدل عمر ٩٣
تابع عدل عمر ٩٥
ذنب أذنبه ٩٦
قصة إسلام عمر ٩٧
الجهر باسلامه ١٠٠
الله يؤيده ١٠٢
مكـــــانته ١٠٦
شدة ورعه ١٠٨
طيبة قلبه ١١٠
حسن تصرفه رضي الله عنه ١١٢
فتوحاته وإنجازاته ١١٥
تابع فتوحاته وإنجازاته ١١٧
حال العروبة من بعده ١٢٢
هل مات عمر؟ ١٢٣
المـــؤلفة ١٢٦